الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون –تيارت–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر

موسومة بـ:

النشاط السياسي والنضالي لصالح بن يوسف

1934–1956 بتونس

من إعداد الطلبة: إشراف الأستاذ:

خالدي بولفعة أ.د. بليل محمد

جعفر هواري

لجنة المناقشة

الدكتور بن عودة بلقاسم	رئيسا
البروفسور بلبل محمد.....	مشرفا ومقررا
الدكتور حسنة كمال.....	مناقشا

الموسم الجامعي

1440–1441هـ

2018–2019م

شكر وعرفان

أوّل شكر لله سبحانه وتعالى أن وفقنا لإنجاز هذه المذكرة،

وشكرنا وتقديرنا للأستاذ الفاضل المشرف على هذا

الموضوع، الأستاذ الدكتور بليل محمد الذي لم يبخل

علينا بنصائحه وتوجيهاته فله الشكر الجزيل.

كما نتقدم بالشكر إلى كافة أساتذة كلية العلوم الإنسانية

وإلى الإداريين والمشرفين على مكتبة الجامعة. لهم منا

فائق الإحترام والتقدير.

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى الوالدين الكريمين

وإلى أبنائي: علي– محمد– إسلام – والحفيدة الباتول وإلى زوجة ولدي – نورة–

وإلى زوجتي الكريمة

وإلى الأصدقاء والزملاء وإلى كافة أساتذة قسم التاريخ والمشرفين على المكتبة الجامعية.

وإلى روح الشهيد صالح بن يوسف وإلى أرواح شهداء الجزائر وتونس

أهدي هذا العمل.

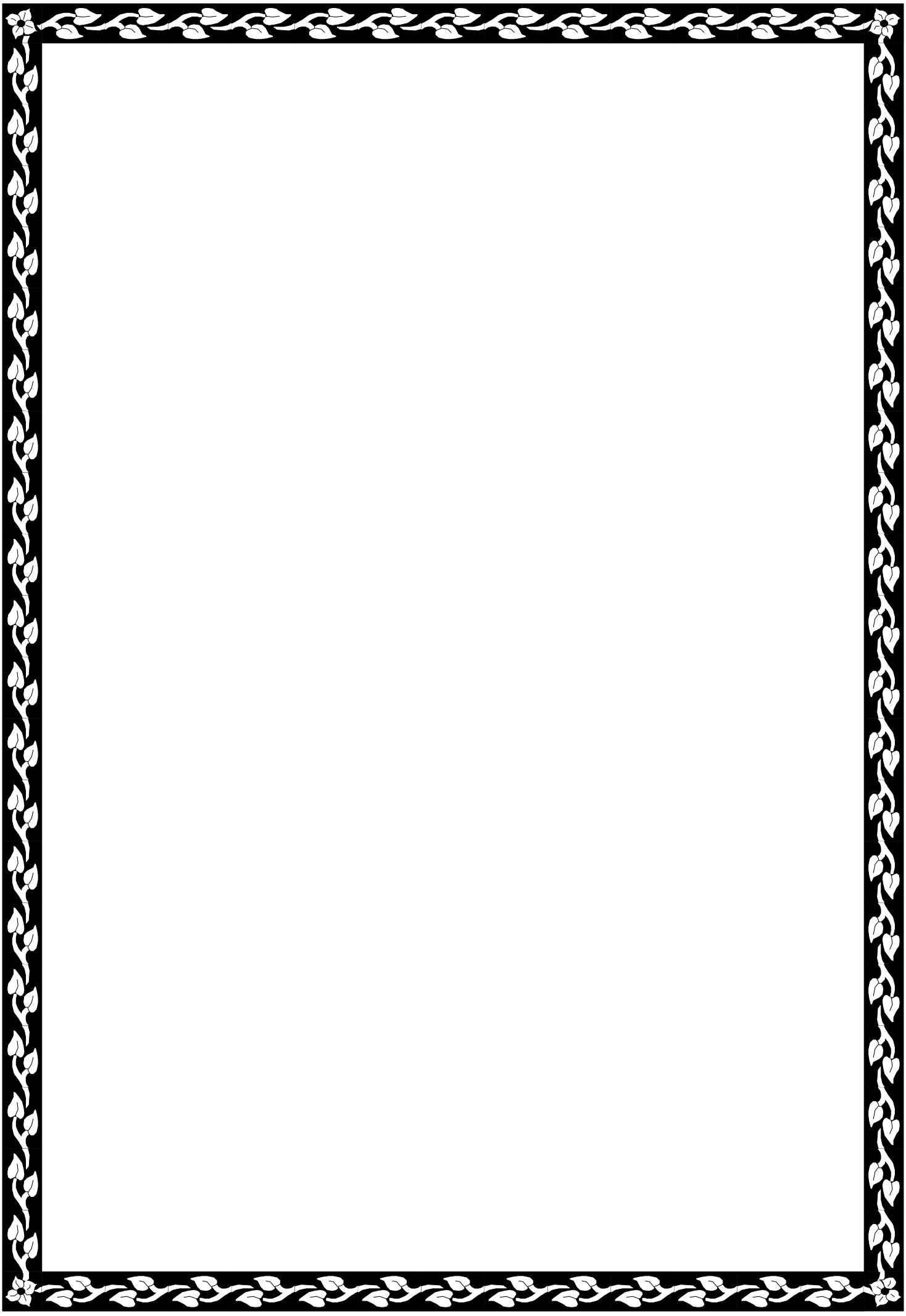

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات

ط: طبعة

ع: عدد

ج: جزء

ص: صفحة

د. س: دون سنة

د. ت: دون تاريخ

د. ن: دون نشر

ط. ج: طبعة جديدة

ت. ع: تعريب

مقدمة

عرفت الحركة الوطنية التونسية تطورا ملموسا في ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، فبعد فشل سياسة التشريك التي تبنتها حركة الشباب التونسي بقيادة علي ومحمد باش حمبه سنة 1907، رفع الحزب الدستوري التونسي سنة 1920 مطالبه، والمتمثلة في إصدار دستور وحكومة وطنية.

ولقد تبنى هذه المطالب مجموعة من الوطنيين التونسيين أمثال عبد العزيز الثعالبي مما أدى غلى نفيه خارج تونس سنة 1923.

ونتيجة لسياسة التضييق التي مارستها السلطات الاستعمارية الفرنسية ضد نشاط الحركة الوطنية التونسية، نقل هؤلاء نشاطهم إلى خارج تونس حيث نجد الشاذلي خير الله يساهم في تأسيس حزب نجم شمال إفريقيا إلى جانب الجزائريين والمغاربة، اما محمد باش حمبه فقد نقل نشاطه إلى جنيف وبرلين حيث ظهرت مجلة المغرب التي اصبحت مركز نشاطات الوطنيين الجزائريين والتونسيين.

كما ساهمت الأزمة الاقتصادية العالمية سنة 1929 في تجذر الحركة الوطنية التونسية، حيث ساهمت هذه الأزمة في كساد النشاط الاقتصادي، مما رفع من منسوب مطالب الحركة الوطنية التونسية.

إلا أن أهم حدث برز في تلك الفترة تمثل في بروز شخصيات وطنية بارزة تلقت تعليمها في باريس متأثرة بالنشاط الحزبي والعمل الصحفي الحر ومن أبرز هؤلاء الحبيب بورقيبة ومحمد بورقيبة والماطري والبحري قيقة وصالح بن يوسف الذي انضم إلى الحزب لدى دخوله إلى تونس سنة 1934، حيث ساهم في الحركة الوطنية التونسية حتى اغتياله سنة 1961.

أسباباختيارالموضوع: هناكأسبابذاتيةوأسبابموضوعيةدفعتنالاختيارهذاالموضوع.

1- الأسبابالذاتية:

- الرغبةفيالاطلاععلىشخصيةصالحبنيوسفالسياسيةوالنضالية.

- الرغبةفيمعرفةنشاطالحركةالوطنيةفيتونس.

- الرغبةفيالاطلاععنتاريخالمغربالعربيخلالالفترةالاستعمارية.

2- الأسبابالموضوعية:

- ارتباطأحداثالحركةالوطنيةالتونسيةبالحركاتالوطنيةالمغاربية.

- تتبععلاقةصالحبنيوسفبالثورةالجزائرية.

- تتبعالسياسةالاستعماريةالفرنسيةفيمواجهةالحركةالوطنيةفيتونس.

أهميةالموضوع: تكمنأهميةالموضوعفيكونهيبحثفيالنشاطالسياسيوالنضاليلصالح بنيوسففيكلمنتونسوالجزائرودعوتهإلىتوحيدالكفاحالمسلحوبالتالي الاستقلالالتام.

المنهجالمتبع:

المنهجالتاريخيالوصفي: اعتمدناعليهفيعرضمختلفالأحداثالتاريخيةوترتيبهاترتيباكرونولوجيامعوصفتلكالأحداث.

المنهجالتحليلي: اعتمدناعليهفيتحليلبعضالأحداثوإبرازالمواقفالتيتبناهاصالحبنيوسفوموقفالأطرافالأخرىخاصةموقفهمنالحكمالذاتيبتونسوالثورةالجزائريةوثورةيوليو 1952.

الإشكالية:

إنالإشكاليةالأساسيةالتييعالجهاالبحثتتعلقبمدىمساهمةصالحبنيوسففيالنشاطالسياسيوالنضاليبتونسوالمنطقةالمغاربية،ومنهنانطرحالإشكاليةالتالية:

كيفساهمصالحبنيوسففيالحركةالوطنيةبتونسخصوصاوالمنطقةالمغاربيةعموما؟وتندرجتحتهذهالإشكاليةالتساؤلاتالتالية:

- ما هيالخلفيةالفكريةوالسياسيةالتيساهمتفيبلورةفكرصالحبنيوسف؟

- كيفاستطاعصالحبنيوسفتجاوزالخلافداخلالحزبالدستوريالقديم؟

- ما هيانعكاساتالطرحاليوسفيعلىالنضالداخلالحركةالوطنيةفيتونس؟

- هلكانتنشاطصالحبنيوسفيشكلخطراًعلىالمصالحالاستعماريةالفرنسيةفيالمنطقة؟

وللإجابةعنهذهالإشكالياتأقررناأنتكون:

خطةالبحث:

قسمناموضوعالبحثبناءًعلىالمادةالعلميةالمتحصلعليهاإلىمقدمةوفصلتمهيديوثلاثةفصولوخاتمةوملاحقوقائمة البيبلوغرافيا.

الفصلالتمهيدي: تطرقنافيهللواقعالفكريوالسياسيوالنقابيودورالنخبةفيه،تمهيدالظهورالحركةالوطنيةالتونسية.

أما**الفصلالأول:** تناولنافيه السيرة النضالية لصالح بن يوسف وقسمناه إلى ثلاثةمباحث،حيث تناولنافيالمبحثالأولالمولد،النشأة،الدراسة،أماالمبحثالثانيفقدتطرقنإلىالنضالالسياسيلصالحبنيوسف،أماالمبحث الثالثتناولنافيهالنزاعداخلالحزبالدستوريالقديموموقفصالحبنيوسفمنه.

أما**الفصلالثاني:**

تناولنافيهاالحزبالدستوريالجديدوالدورالسياسيلصالحبنيوسففيه،وقدتمتقسيمهإلىثلاثمباحث،حيثتناولنافيالمبحث الأولطبيعةالخلافداخلالحزبالدستوريالجديد،أماالمبحثالثانيفتناولنافيهموقفالبايوالنقاباتالمهنيةوالشخصياتالوط نيةمنالخلافخاصةبينصالحبنيوسفوبورقيبةأماالمبحثالثالثفتطرقنإلىالموقفالفرنسيالرسميمنالخلافاليوسفيالبورقيبي.

أما**الفصلالثالث:** تناولنافيهصالحبنيوسفوقضاياعصره وقسمناه إلى ثلاث مباحث.

المبحث الأولتناولنا فيه موقف صالح بن يوسف من الثورة الجزائرية، أما المبحث الثاني تطرقنا فيه إلى العلاقة بين صالح بن يوسف وجمال عبد الناصر وثورة يوليو 1952، أما المبحث الثالث تناولنا فيه بروز الحركة اليوسفية وصراعها مع بورقيبة ومصير صالح بن يوسف.

الخاتمة: حاولنا إعطاء بعض الاستنتاجات لأهم النتائج المتوصل إليها من خلال دراستنا لهذا الموضوع.

ومن أجل الإلمام بالموضوع من كل جوانبه، استعنا في بحثنا بمجموعة من المصادر التي ساهمت في إثراء موضوعنا ومن أهمها:

-كتاب مأساة عرش لمحي الدين القليبي الذي يتتبع حكم بايات تونس والدور الوطني للمنصف باي، بالإضافة إلى كتاب تونس الشهيدة للثعالبي وتونس الثائرة لعلي البهلوان.

أما المراجع فقد اعتمدنا أساسا على كتاب منصف الشابي حياة كفاح صالح بن يوسف يعتبر مرجعا أساسيا لتتبع سيرة صالح بن يوسف بالإضافة إلى كتاب صالح بن يوسف "خطب ووثائق أخرى" لمحمد ضيف الله الذي يعتبر أيضا من أحدث الكتب التي تتناول خاصة خطبه ، إضافة إلى كتاب طاهرعبد الله "الحركةالوطنية التونسية[رؤية شعبية]".

ولقد واجهتنا في إنجاز هذا البحث مجموعة من الصعوبات والعقبات التي كانت عائق في طريقنا نذكر منها:

- ضيق الوقت.

- صعوبة الوصول إلى المصادر التي تتناول صالح بن يوسف والحركة الوطنية التونسية.

- قلة المراجع خاصة باللغة الأجنبية.

الفصل التمهيدي:الواقع الفكري والسياسي والنقابي التونسي ودور النخبة

المبحث الأول: النضال الفكري

المبحث الثاني: النضال السياسي

المبحث الثالث: النضال النقابي

المبحث الأول: النضال الفكري

كانت فرنسا قبيل انتصاب حمايتها على تونس تحت تأثير هزيمة 1870، وكانت في نفس الوقت تتخبط في أزمة اقتصادية. وبحكم هذه الظروف عقدت فرنسا العزم بعد فترة من التردد على الخروج من انكماشها والبداية في سياسة توسعية استعمارية، وبناءً على ذلك قدمت فرنسا ضمانات لبعض الدول وبالتالي فرضت حمايتها على تونس سنة 1881.[1]

وبعد فشل المقاومة المسلحة بتونس تطلع التونسيون إلى رجال الفكر والإصلاح خاصة علماء الزيتونة، لنشر الوعي الفكري ومحاربة الجهل والبدع والخرافات، والتمهيد لنهضة فكرية وسياسة تقاوم الاستعمار الفرنسي لذا بادر قادة الفكر والسياسة إلى إصدار الجرائد، وتأسيس الجمعيات لاستنهاض الأمة التونسية، ومواجهة السياسة الاستعمارية الفرنسية بأشكالها المختلفة، حيث أصدر علي بوشوشة، وبمساهمة بشير صفر جريدة المحاضرة في 12 أوت 1888 التي دافعت عن مصالح الأهالي، إلا أن أهميتها تكمن في مساهمتها في تكوين رأي عام تونسي، وزعزعة خمولهم لضمان النهوض بهم فكريا وأخلاقيا واجتماعيا وتلقينهم الأفكار الأساسية السائدة آنذاك في المجتمع الغربي[2].

وفي 1989 أصدر عبد الرحمان الصنادلي جريدة الزهرة التي ركزت على الأخبار الوطنية ونقد الإدارة الفرنسية بأسلوب أكثر حدة، مما أدى إلى حجبها عن الصدور 1897.

وقد أدت بعض الجرائد العربية الأخرى رسالة حضارية، وكانت تقريبا كلها في خدمة الفكر الإصلاحي والإصلاح الديني والنهضة العربية والعلمية، منها جريدة (ترويح النفوس) التي زودت المسلمين بأخبار العالم، لصاحبها عزوز بن أحمد الخياري، وجريدة

---

[1] علي المحجوبي: **انتصاب الحماية الفرنسية على تونس**: تر: عمر ضو وآخرون، سيراس للنشر، تونس، 2002، ص05.

[2] علي المحجوبي: **جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1934)**، تع: عبد الحميد الشابي، بيت الحكمة، تونس، د.س، بيت الحكمة، ص126.

المعارف والعدلية التي مثلت نزعة الشباب التونسي في الميدان الأدبي لصاحبها الهادي بن محمد عباس، يشاركه في تحريرها الشيخ الثعالبي بمقالاته الشهيرة وعلمه النابه، وجريدة الإسلام الاجتماعية الإصلاحية الدينية لمديرها محمد الهاشمي بن عثمان[1].

كما قامت النخبة التونسية وعلى رأسها البشير صفر، بتأسيس الجمعية الخلدونية في 22ديسمبر1896، وهي تستمد تسميتها من اسم العلامة ابن خلدون، وكانت تهدف إلى تمكين المسلمين من الاطلاع على العلوم العصرية وتوسيع آفاقهم الفكرية، حيث كانت تنظم دروس ومحاضرات، في مجالات التاريخ والجغرافيا، واللغة الفرنسية، والاقتصاد السياسي، وحفظ الصحة، والفيزياء، والكيمياء، وغيرها[2].

وبذلك أصبحت الخلدونية مركز إشعاع ثقافي وإصلاحي،كان له أثر كبير في الحياة الفكرية في تونس، مما أدى إلى أحد المعمرين بالقول: "إذا ما قدر أن تندلع ثورة في البلاد التونسية فإن أركان ثوارها تكون قد تخرجت من الخلدونية"[3].

كما أن النجاح الباهر الذي أحرزته الخلدونية، قد أزعج شيوخ الزيتونيين المحافظين، وبعض المدرسين الذين كانوا يرون اللغة الفرنسية، الوسيلة الوحيدة للرقي والتقدم، ويعتبرون الغرب وخصوصا فرنسا المثال الذي يجب أن يحتذي به لبلوغ المراتب الحضارية[4].

أما جمعية قدماء تلاميذ المعهد الصادقي، تأسست في 23 ديسمبر 1905 برئاسة *خير الله بن مصطفى، تهدف إلى تغيير عقلية الشعب التونسي والإسراع بدفعه إلى التقدم والأخذ بالأفكار

---

[1] يوسف مناصرية: **الحزب الحر الدستوري القديم**، 1919-1939، رسالة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 1986، ص21.

[2] علي المحجوبي: **جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1934)**، ص126.

[3] يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص23.

[4] حمادي الساحلي: **تراجم وقضايا معاصرة**، جمع وترتيب محمد العزيز الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط2005، ص80.

العصرية بواسطة إحداث مكتبة وتنظيم محاضرات إلى عامة الشعب[1]، وشارك في نشاطها علي باش حمية، وعبد الجليل الزاوتني، وحسن قلاتي وغيرهم، ومن علماء الزيتونة الشيح محمد الطاهر بن عاشور ومحمد الخضر حسين الذي عمل على إصلاح الجامع الزيتوني سنة 1906 مع جماعة من أساتذته (جمعية جامع الزيتونة) تحت رئاسة الشيخ الطاهر النيفر وكان هدفها إصلاح القيم على الطريقة الأزهرية الجديدة[2].

لقد أعطت زيارة الشيخ محمد عبده الثانية لتونس (من 09 إلى 22 سبتمبر 1903) نفسا جديدا للشباب التونسي، حيث أسهمت في تنمية الحركة الإصلاحية التونسية وكانت مجلة المنار الصادرة سنة 1898، تصل إلى تونس، حيث يقرأها العديد من رجال الفكر.[3]

كما كانت أفكار محمد عبده والشيخ جمال الدين الأفغاني، محل اهتمام كافة المثقفين التونسيين حيث انخرط بيرم الخامس و محمد السنوسي في جمعية العروة الوثقى التي أسسها جمال الدين الأفغاني بمدينة كالكوتاسنة 1882[4].

فانتشرت أفكاره بين شيوخ الزيتونة، وطلبتها المتفتحين لمختلف التأثيرات الواردة من المشرق الإسلامي، كما نالت استحسان تلامذة المدرسة الصادقية، وقد تخرج الفوج الأول منهم في سنة 1882.

ولكن المبادئ الإصلاحية التي عبر عنها جمال الدين الأفغاني وتبناها أتباع جمعية العروة الوثقى بتونس، أحرجت سلطة الحماية، فانتهزت فرصة مظاهرة لكرس ومطالبة المتظاهرين بإعادة تنظيم

[1] علي المحجوبي: المرجع السابق، ص130.
[2] يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص26.
[3] علي المحجوبي، المرجع السابق،ص134.
[4] نفسه،ص26.

المجلس البلدي بالعاصمة، لوضع حد لنشاط الجمعية بتونس وإخماد صوت المصلحين التونسيين الذين كانوا موظفين ومدرسين يقتاتون مرتباتهم من الدولة[1].

إن نمو الاستعمار، وتفاقم التناقض القائم بين أغلبية التونسيين والرعايا الأوربيين وتزايد إفقار الأهالي الفاضح، جعل الشباب من حركة تونس الفتاة، يدركون أن النشاط الذي تغلب عليه الصفة الثقافية يتطلب عملا سياسيا صريحا.

[1] أحمد القصاب، المرجع السابق، ص326.

المبحث الثاني: النضال السياسي

خطاب البشير صفر في 24 مارس1906:

في هذا اليوم جرى احتفال كبير بمناسبة تدشين تكية للعجزة، عرض البشير صفر في هذا الخطاب، وبحضور المقيم العام "ستيفان بشون" البعض من الإصلاحات التي يتوق إليها الشعب التونسي، ولفت نظر سلطات الحماية إلى حالة الفقر التي يعيشها الأهالي، والتي تعود أسبابها إلى سلب الأراضي وتدهور التجارة والصناعة، كما أوصى البشير صفر بالحفاظ على ملكية الأهالي الفلاحية والنهوض بالصناعات المحلية، وتنمية التعليم الصناعي والتجاري والفلاحي[1].

لقد اعتبر خطاب البشير صفر ضربا من الجرأة، حيث لقي ترحيبا من التونسيين، وهجوما عنيفا من جريدة "تونس الفرنسية" لسان حال المعمرين الداعين إلى فرنسة تونس واعتبارها من التراب الفرنسي[2]. وعلى إثر هذا الخطاب أعفي البشير صفر من مهامه على رأس إدارة الأوقاف وابعد من العاصمة حيث عين عاملا بسوسة[3].

وفي المؤتمر الاستعماري المنعقد بمرسيليا من 05 إلى 09 سبتمبر 1906، أشار *محمد الأصرم في مداخلته، أن الاحتلال لن يكون مشروعا، ما لم يضمن للأهالي الرفاهية والعدالة والحرية.

حركة الشباب التونسي: أسّس المحامي علي باشحمبة في 07 فيفري 1907 جريدة أسبوعية ناطقة بالغة الفرنسية "التونسي" تهدف إلى الدفاع عن مصالح الشعب التونسي، وفيها طرحوا جملة من المطالب ذات صبغة اقتصادية واجتماعية وسياسية[4].

وفي عام 1909 أشرف الشيخ عبد العزيز الثعالبيعلى إصدار الطبعة العربية من جريدة التونسي[1].

[1]علي المحجوبي: المرجع السابق، ص137.

[2]عبد العزيز الثعالبي: **تونس الشهيدة**، تر: سامي الجندي، د.س، دار القدس، ص10.

[3]أحمد القصاب: المرجع السابق، ص490.

[4]علي المحجوبي: المرجع السابق، ص137.

لقد نشرت جريدة التونسي في افتتاحية عددها الأول في 07 فيفري 1907، برنامجا لحركة علي باش حمبة يشمل خاصة في مجال السياسي المطالبة بنظام سياسي يتلاءم مع التصور العصري لواجبات وحقوق الحاكم والمحكوم وبالتالي تشريك الأهالي في الحياة العامة لتمكينهم من المساهمة في إدارة شؤون بلادهم.

إذن فحركة الشباب التونسي لم تطرح قضية الاستقلال، بل كانت في بداية الأمر تدعو إلى سياسة تشريك التونسيين في إدارة شؤون بلادهم للنهوض بها ولو في نطاق الحماية الفرنسية.

وهكذا كان لهذه الحركة بالرغم من طبيعتها النخبوية والبرجوازية ضلع في بروز القوى الشعبية على الساحة السلمية قبيل الحرب العالمية الأولى[2].

حادثة الزلاج 1911:

في هذا الجو المشحون، كان على الإدارة أن تلزم طريق الحيطة وتمتنع عن كل مبادرة استفزازية، لكن بلدية تونس أعلنت أنها ستقوم يوم 07 نوفمبر 1911 بإجراءات التسجيل على مقبرة الجلاز الإسلامية، باعتبارها ملكا عموميا.

أثار هذا القرار انتقادات كثيرة واضطرت البلدية في النهاية إلى التراجع عن مشروعها، لكن سكان المدينة كانوا قد استعدوا للمجابهة[3]، والتي أسفرت عن مقتل 8 فرنسيين وإيطاليين، والعديد من التونسيين، وأصدرت أحكام على 35 من المتظاهرين التونسيين منهم 7 بالإعدام، كما تم منع كل الصحف العربية باستثناء جريدة الزهرة، –وهي جريدة شبه رسمية– وإعلان حالة الحصار العام في تونس ولم ترفع إلا سنة 1921.

---

[1] أحمد القصاب: المرجع السابق، ص493.

[2] علي المحجوبي: **الحركة الوطنية التونسية بين الحربين**، منشورات الجامعة التونسية 1986،ص33.

[3] عبد الله العروي: **مجمل تاريخ المغرب**، د.س، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص612.

لقد بينت هذه الحوادث أن روح المقاومة ولدت في الجماهير بعد أن كانت لا تشعر بها إلا طبقة المثقفين وحدها[1].

وفي الجارة ليبيا، أقدمت إيطاليا على احتلالها سنة 1911، فالتف الشعب التونسي إلى مؤازرة إخوانه الليبيين، وتسابق أهلها في التطوع في الجيش العثماني، مع المجاهدين البرقاويين، وأقيمت استقبالات منقطعة النظير لأنور باشا ونوري باشا ومصطفى كمال باشا*، وبرز عبد العزيز الثعالبي كقائد شعبي التفت حوله الجماهير، فقد سخر لسانه وقلبه وكل طاقاته للدفاع عن الشعب الليبي[2].

حادثة ترامواي 1912: ولم تهدأ خواطر التونسيين بعدن عندما داس يوم 09 فيفري 1912 سائق ترامواي من ذوي الجنسية الإيطالية، أحد أطفال فأرداه قتيلا، فاعتبره التونسيون مظهرا من مظاهر الحقد الذي يكنه الإيطاليون للشعب التونسي، فقرر السكان التونسيون مقاطعة الترامواي، ومطالبة الشركة منح العمال التونسيين نفس الأجور التي يتقاضاها العمال الإيطاليون.

وأثار هذا النشاط الأول من نوعه للعمال غضب السلطات الاستعمارية الفرنسية فقررت رفض مطالب العمال وتعطيل الصحف الوطنية وإعلان القانون العرفي وإبعاد قادة حركة الشباب التونسي وخاصة علي باش حمبة وعيد العزيز الثعالبي وحسن قلاتي[3].

وقد أكرمت الدولة العثمانية وفادة جميع التونسيين المنفيين وأعانتهم على مواصلة كفاحهم في الخارج وأسندت لبعضهم مناصب عالية ليسهل عليهم العمل في سبيل استقلال تونس، ومن أبرز تلك الشخصيات علي باش حمبة الذي بقي فيها إلى أن وافه أجله سنة 1918. أما شقيقه محمد

[1] شارل أندري جوليان: **إفريقيا الشمالية تسير**، تر:المنجي سليم وآخرون، دس، الدار التونسية للنشر، ص90.
[2] عبد العزيز الثعالبي: المرجع السابق، ص12.
[3] أحمد القصاب: المرجع السابق، ص493.

باشحمبة فقد أسس في سويسرا لجنة "تونس جزائرية" وأصدر باسمها مجلة المغرب التي تصدت للدفاع عن شعوب المغرب وحقوقها. وقد توفي في برلين[1].

كانت المبادئ التي أقرها الرئيس الأمريكي ولسن في 08 جانفي 1918، والتي تعترف بحق الشعوب المستعمرة في تقرير مصيرها، الأثر البالغ على المثقفين التونسيين، إضافة إلى ثورة أكتوبر 1917، وأحداث تركيا التي كانت إذ ذاك مركز للخلافة، ومطالبة الشعب المصري بقيادة سعد زغلول بتطبيق مبادئ الرئيس ولسن.

كان لهذه الأحداث صدى كبير بالبلاد التونسية إلى درجة أن السلطات الفرنسية اتخذت الإجراءات اللازمة، وذلك حتى لا يقتدي الشعب التونسي بالنضال المصري خصوصا.[2]

تأسيس الحزب التونسيمارس 1919:

تعودجذور نشأة هذا الحزب إلى الاجتماعات العديدة التي التأمت بالعاصمة في 1919، والتي أكدت ضرورة سن دستور يضمن حقوق الأهالي. ومن أبرز أعضاء الحزب الشيخ عبد العزيز الثعالبي وأحمد الصافي وحسن قلاتي، حيث أرسلوا مذكرة 8 مارس 1919 إلى كل من الرئيس الأمريكي ولسن وإلى وفود مؤتمر الصلح بباريس يطالبون فيها بتطبيق مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها على البلاد التونسية[3].

كما كلف الحزب أحمد السقا والثعالبي للدعاية للقضية التونسية، والذي تجلى من خلال إصدار كتاب "تونس الشهيدة" الذي تكمن أهميته أساسا، في تحليل نظام الحماية وانعكاساته الوخيمة على الشعب التونسي، واقتراحه لبرنامج يحتوي على ضمانات ضد الظلم، وكل التجاوزات الناجمة عن الحماية والمتمثلة في سن نظام ديموقراطي يرتكز على الفصل بين السلطات.

---

[1] علي البهلوان:**تونس الثائرة**، مؤسسة هنداوي، دس، المملكة المتحدة، د.س، ص47.

[2] علي المحجوبي: **الحركة الوطنية التونسية بين الحربين**، منشورات الجامعة التونسية 1985، ص48.

[3] خليفة الشاطر وآخرون، **تونس عبر التاريخ**، ج3، مركز الدراسات والبحوث، تونس، ص86.

ومهما يكن من أمر، فإن البرنامج الذي ورد في "تونس الشهيدة"، هو بمثابة القطيعة مع برنامج التشريك، الذي أقرته حركة الشباب التونسي، والانتقال إلى المطالبة بتحقيق الاستقلال الذاتي للبلاد، وتعود هذه المرونة إلى محاباة الأحزاب اليسارية الفرنسية التي راهن عبد العزيز الثعالبي وجماعته على تأييدها للقضية التونسية[1].

تأسيس الحزب الدستوري التونسي:

في 14 مارس 1920 أنعقد أول اجتماع تأسيس للحزب، بمنزل علي كاهية، وحمل رسميا اسم الحزب الحر الدستوري التونسي ولم يعلن عن تأسيسه إلا يوم 03 جوان 1920، واتخذ من مدينة تونس مقرا له وأعترف به رسميا إثر استقبال الباي محمد الناصر للوفد الدستوري برئاسة الشيخ الصادق نيفر.

مبادئ وأهداف الحزب:

من أهم مبادئه وأهدافه، المطالبة بنظام دستوري وتأليف حكومة وطنية مسؤولة أمام الشعب[2].

واتفق الجميع على برنامج سياسي صار بعد إقراره النهائي، يمثل المطالب الأساسية للحزب الحر الدستوري التونسي، عرضها ابن عياد على الثعالبي في رسالة له بتاريخ 07 فيفري 1920 للدراسة والتحقيق، فوافق عليها الثعالبي بعد تعديلها وردها إليه في 18 فيفري من نفس السنة[3].

كان الحزب الحر الدستوري التونسي، على اتصال وثيق بجميع الحركات الوطنية العاملة بفرنسا، وكذلك ببعض الشخصيات العربية وغير العربية المعروفة بعدائها للاستعمار، فمنذ سنة 1927

[1] علي المحجوبي: المرجع السابق، ص53.

[2] محمد سعيد عقيب: **الحزب الحر الدستوري التونسي القديم 1934-1956**،رسالة دكتوراه 2010/2009، جامعة الجزائر، ص30.

[3] يوسف مناصرية: المرجع نفسه، ص21.

سافر كل من الشاذلي خير الله ومصالي الحاج إلى بروكسل للمشاركة في المؤتمر العالمي المناهض للاستعمار.

وعلى أية حال يمكننا اعتبار نشاط الشاذلي خير الله ضمن حزب نجم شمال افريقيا في باريس رمزا للتعاون بين الحزب الدستوري التونسي القديم والوطنيين الجزائريين بفرنسا[1].

الانشقاق داخل الحزب الدستوري:

لقد بدأت بوادر الانشقاق داخل الحزب الدستوري تظهر ابتداءً من شهر مارس 1921وتمثل في بروز حسن قلاتي الذي أسس الحزب الإصلاحي وفرحات بن عياد الذي أسس الحزب المستقبل.

أ- **الحزب الإصلاحي:**

ظهر حسن قلاتي على رأس جماعة منشقة، وأسس الحزب الإصلاحي، وانظم إليه كل من لم ينسجم مع أفكار الدستوريين، ولم يكن يؤمن بما جاء في كتاب "تونس الشهيدة"، واعتبرت برنامج الحزب عقبة في وجه كل تفاهم مع السلطة. وهذا ما جعل قلاتي يتنازل عن مبادئ الحزب الرئيسية، وينادي بتشكيل مجلس استشاري يتكون من أعضاء تونسيين وفرنسيين على السواء، وركز في برنامجه على المسائل الاقتصادية، والتعاون مع الفرنسيين.

والواقع أن سلطة الحماية، قد افتعلت هذا الشقاق، وحولت الصراع بين التونسيين أنفسهم، غير أن الحزب الدستوري كان متفطنا إلى هذه العملية فقد اعتبر الإصلاحيين خونة صنيعة الإقامة العامةمن أجل إضعاف الحركة الوطنية.[2]

[1] زوزو عبد الحميد، **دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين**، 1919-1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ت، ص 149.

[2] يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص189.

لقد استمر الحزب الحر الدستوري التونسي، في صراع مرير مع نظام الحماية، الذي أنكر مطالبه، واعتبرها مخالفة لنص معاهدة باردو، واتفاقية المرسى، ولم تستجب له إلا قليلا، حتى رفعت حالة الحصار، وأعلنت عن تفريق السلط في السنوات الأولى التي تلت الحرب، ونظرا لسلبية فرنسا ونظامها وتعنتها أصيب الحزب الدستوري الحر مع مرور الزمن بخيبة أمل فاضطر إلى التعنت، وأخذ موقفا متصلبا لا رجعة فيه، ورفض مبدأ التفاوض مع الحماية وجاهرها بطلب الاستقلال الكامل.

وكانت الصحافة هي الوسيلة الأولى التي اعتمد عليها الحزب في نشر أرائه ومبادئه بين صفوف الشعب، وكسب عفويتهم، فبالإضافة إلى الخطب التي كانت تلقى في المساجد، والنوادي، والساحات العامة، وكذلك الندوات الشعرية، فهناك الصحافة العربية والفرنسية التي كانت تبث الدعاية للحزب بكامل أرجاء الوطن في المدن والأرياف، ابتداء من يوم اعتراف الباي به.

فمن الصحافة العربية نذكر جريدة "الصواب" التي تبنت آراء الحزب رسميا، واهتمت بالدعاية له، وكانت تقترح مطالبه، ولما عطلت سلطات الحماية جريدة "الصواب" يوم 5 أفريل 1922 لاهتمامها بحادثة تنازل الباي عن العرش، خلفتها جريدة الاتحاد ثم الأمة و المبشر والعصر الجديد والمثير وافريقيا، ومن أبرز الجرائد جريدة "الإرادة" التي ظهرت لصاحبها الاستاذ المنصف المستيري، ومن صحافة الحزب الفرنسي نذكر جريدة صدى الصحافة (l'écho de la presse) التي أسسها الشيخ الثعالبي في مارس 1923 وجريدة الحر (le libéral) وجريدة اللواء (l'étendant) للأستاذ الشاذلي خير الله وصوت التونسي (la voix de tunisienne) التي شارك فيها أحمد الصافي وصالح فرحات.

وجريدة العمل التونسي (l'action tunisienne) لصاحبها الحبيب بورقيبة وجريدة صوت الشعب (la voix de peuple)[1]

[1] يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص21.

أ- الحزب المستقل: أسسه فرحات بن عياد في 13 نوفمبر 1922، كانت مطالبه تتركز خاصة على المساوات في العمل إلى الجانب الفرنسي، وقد باركت سلطة الحماية أهدافه، ونوهت به في الجرائد، والصحف الاستعمارية الباريسية بتاريخ 10 جانفي 1923 "مهما يكن من أمر فإنه ليس هناك فرنسي يشك في جدارة، وصدق فرحات بن عياد".

لقد بقي الحزب المستقل مهجورا من طرف الشعب، ولم ينخرط فيه أحد لتعاونه الصريح مع سلطات الحماية.[1]

ب- الحزب الدستوري الجديد: مثلت فترة الثلاثينات من القرن 20 عودة ثلة من الشباب التونسي، بعد انهاء دراستهم بفرنسا ومنهم الحبيب بورقيبة، محمود الماطري و الهادي نويرة، وانصب اهتمامهم على غرس مفاهيم جديدة، وأساليب كفاح عصرية، برهنت عن جدواها في البلدان الأوروبية المعاصرة، حيث اختلف هؤلاء مع زعماء حزب المحافظين، حول أساليب العمل حيث طالبوا بإعادة تنظيم الحزب، فانعقد مؤتمر وطني للحزب في ماي 1933، غير أن شدة الخلاف بين جناحي الحزب، أدت إلى انفصال النخبة المثقفة المعاصرة عن جماعة المحافظين، وتكوينها للحزب الدستوري الجديد في مؤتمر قصر هلالمارس 1934، تولى رئاسته محمود الماطري، والحبيب بورقية الأمانة العامة، ومحمد بورقية أمين المال والبحري قيقة نائب أمين المال[2]، ودار سجال ومعارك بين الجناحين من خلال جريدة العمل التونسي لسان حال الحزب الجديد، وجريدة الإرادة لسان حال الحزب القديم.

وقد اتهمت العناصر الشابة، قادة الحزب القدامى، بقلة الاهتمام والدعاية بين الجماهير، وقصر العمل على العناصر النخبوية التقليدية.

---

[1] نفسه، ص21.

[2] نجاة عبو: التحور **الوطني ووحدة المغرب العربي لدى ابن بلة وصالح بن يوسف**، مذكرة لنيل شهادة ماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 1914، ص27.

وقد اقترنت فكرة التحرير السياسي عند بورقيبة ومجموعته بفكرة التقدم الاجتماعي وقادته دراسته وثقافته الغربية والفرنسية، إلى أن يكون منذ بداية ظهوره على المسرح السياسي، مستعدا لإدماج الفرنسيين والتونسيين في بيئة ديموقراطية واحدة، وإمكان التعاون مع فرنسا، بل ذهب إلى القول بأن وضع تونس الجغرافي يحتم عليها التعاون مع فرنسا.

وكان ذلك انعكاسا للثقافة والفكر الغربيين، أدى إلى اختلاف منهج العمل وأسلوب التحرك السياسي[1].

وما انفكت الخلافات القائمة بين الحزبين المتنافسين تتضاعف شيئا فشيئا، وهما أوساط اجتماعية متباينة، ولهما تصورات متناقضة، فالحزب الدستوري الجديد ينتدب إطاراته من بين المثقفين المتوسطي البيئة غالبا، والبعيدين عن الأرستقراطية والبرجوازية اللتين لا يشعر بأي عطف عليها، والكثيرون من أعضائه كانوا ناضلوا في فرنسا داخل الأحزاب اليسارية.

فقد تشبعوا في مدارسها بذكريات "جان دارك" "فالمي"، وهم ينتسبون إلى مبادئ الحرية والقومية، التي تلقنوها بوصفها أساس العظمة الفرنسية، وهم أمام الاستيلاء الأجنبي يتمسكون ويؤكدون السيادة التونسية، الخطر الشرعي للأمة التونسية، ذات الخصائص الروحية والأدبية، في القانون العام والقانون الدولي.

ولم يتأثر البرنامج الدستوري بنظام الحكم الشرقي الاستبدادي المستمد سلطاته من الدين والذي يمثله الباي، بل يستمد برنامجه من دستور 1861 لأنه يتحمس للفكرة القومية أكثر منه لفكرة الوحدة الإسلامية[2].

واجتمع هؤلاء الشباب حول جريدة "صوت التونسي" التي أصدرهاالأستاذ "الشاذلي خير الله" عام 1929، ووجدوا مجالا واسعا للعمل، عندما صادف انعقاد المؤتمر الأفخارستي عام 1930، وقد

[1] محمد علي داهش: **المغرب العربي المعاصر**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 2014، ص165.

[2] شارل أندري جوليان: **إفريقيا الشمالية تسير**، تر: منجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، 1976، ص102.

اعتبره الفرنسيون حملة صليبية جديدة، ومقدمة لفرنسة التونسيين بطريق التنصير، وقررت سلطات الحماية، إقامة الحفلات في تلك السنة نفسها، بمناسبة مرور خمسين سنة على احتلال تونس.

فجرد الشباب أقلامهم، وأعلنوها حملات قوية شديدة على الاستعمار، ونواياه، والتف الشعب حولهم مؤيدا ومؤازرا، وتحمس لهم.ولما قدمتهم الإقامة العامة للمحاكمة لأجل مقالاتهم بجريدة "صوت التونسي"، تحرك الشعب دفاعا عن خيرة شبابه، ولما رأى أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري نشاط هؤلاء الشباب التف الشعب حولهم، وعقدوا مؤتمر الحزب "نهج الجبل" في 12 و13 ماي 1993 وقرروا المؤتمر بالإجماع قبول هيئة جديدة العمل التونسي في اللجنة التنفيذية.

لم يدم الوئام داخل اللجنة التنفيذية للحزب بين عناصر الشباب الناشط وبين الشيوخ التونسيين المؤسسين للحزب بل ازداد الانقسام. فانعقد اجتماع بمدينة قصر هلال مارس 1934 وانتخب المؤتمر هيئة إدارية وتنفيذية جديدة سميت بالديوان السياسي، واختير الأستاذ الحبيب بورقيبة أمينا عاما للحزب، وسمي الحزب الحر الدستوري منذ ذلك العهد بالدستور الجديد[1].

إن الأسباب والدوافع التي أدت إلى ظهور الحزب الدستوري الجديد يمكن تلخيصها فيما يلي:

– ضعف الحركة الوطنية بعد نفي الزعيم عبد العزيز الثعالبي واستقراره في المشرق العربي، وقد كانت لها أعمق الاثر في تطور الحركة الوطنية في الشرق وتبلور فكرة الوحدة العربية، وقد ترتب عن وجود عبد العزيز الثعالبي زعيم الحركة الوطنية بتونس بالمشرق جمود نسبي للحركة الوطنية.

– بالإضافة إلى خروج حسن قلاتي والشاذلي القسطلي عن الحزب الحر الدستوري التونسي وتأسيسهم لحزب الإصلاح بإيعاز من طرف سلطات الحماية[2].

[1] علي البهلوان: **تونس الثائرة**، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017، ص52.

[2] الطاهر عبد الله: **الحركة الوطنية التونسية (رؤية شعبية)**، دار المعارف، ط2، ص60.

المبحث الثالث: النضال النقابي

عرفت تونس نشاط نقابي كبير ساهم في دعم الحركة الوطنية التونسية.

النشاط النقابي: تعتبر تونس البلد السباق في الحزب العربي في مجال النضال النقابي، ففي مطلع القرن العشرين قام المناضل محمد علي العامي بتأسيس جامعة عموم العملة التونسية والتي استخلفت فيما بعد بالاتحاد العام التونسي للشغل بعد حل التنظيم الأول، حيث ساهمت الحركة النقابية الوطنية التونسية في النضال الاجتماعي العمالي، ولعبت دورا كبيرا في الحراك السياسي خلال الفترة الاستعمارية، والتي مازلت بارزة إلى يومنا هذا في المشهد السياسي.

أولا: عوامل تأسيس الحركة النقابية التونسية.

1- قضايا ومسائل الموظفين والشغل: شكلت الأجور محورا اهتمامات العمال من خلال الإحساس بانعدام المساواة في الأجور بين العمال الأوروبيين والتونسيين.

2- انتشار البطالة: إن ظاهرة البطالة ظلت متزايدة بنسبة 5% ما بين فترة الاحتلال إلى غاية 1911، واستمرت في الزيادة بنسبة 25% ما بين 1935-1946 نظرا لتطور الرأسمالية الاستعمارية في البلاد التونسية.

3- ضعف القدرة الشرائية التونسية: ويعود ذلك إلى ارتفاع أسعار المواد الأساسية فالعامل التونسي كان يكد في عمله مقابل أجر لا يستطيع أن يسد به حاجته اليومية.

4- ظهور نخبة من المفكرين التونسيين: ظهرت نخبة من النقابيين التونسيين في النصف الأول من القرن العشرين طالبت بالحقوق النقابية وجملة من اهتماماتها تحسين ظروف العمال، أمثال محمد علي الحامي، والقناوي، وفرحات حشاد، ومحمود المسعدي.

5- تأسيس جامعة عموم العملة التونسية C.G.T.T: تأسست في 17 أوت 1924 في جو إضرابات عمال ميناء تونس بتاريخ 13 أوت 1924[1].

ومن أشهر قادتها محمد علي الحامي، المختار العيادي، البشير بودمغة والفرنسي فينيدو ري.

إن جامعة عموم العمالة التونسية، لقيت معارضة من نقابة C.G.T وعلى رأسها النقابي جوهو الذي أرسل في 24 أكتوبر 1924، رسالة سرية إلى كل من المقيم العام في تونس والرئيس الفرنسي إدوارد هيريو ضد نقابة محمد علي الحامي بغية عرقلتها وشل نشاطها النقابي.

لقد لقيت أيضا جامعة العموم العملة التونسية تحاملا كبيرا من طر ف الاشتراكيين والنقابين ومن أعضاء الحزب الدستوري الحر التونسي، والتي كانت نهايته إلقاء القبض على محمد علي الحامي في 25 مارس 1926، ونفيه خارج البلاد التونسية مدة عشر سنوات كاملة، بعد إدانته من طرف محكمة الجرائم بالتآمر ضد أمن الدولة. إلا أنه بعد فترة زمنية وبموجب المرسوم الفرنسي المرخص لتأسيس الحركات النقابية تم بعث جامعة عموم العملة التونسية الثانية التي تأسست في 14 جوان 1936 من طرف بلقاسم القناوي، أحد رفقاء محمد علي الحامي، الذي لم يكن محل قبول من طرف الحزب الدستوري الحر الجديد بزعامة الحبيب بورقيبة لأنه تمت محاولة فرض الهادي نويرة المحسوب على الحزب للهيمنة على النقابة، وبالفعل تم الانقلاب على القناوي وعزله وبروز جامعة عموم العملة بقيادة الهادي نويرة تحت غطاء الحزب التونسي الجديد، وذلك من خلال المؤتمر المنعقد بتاريخ 29 جانفي 1938 تحت رئاسة أحمد قرين.

تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل:تأسست هذه النقابة العمالية المستقلة المعروفة باسمالاتحاد العام التونسي للشغل بتاريخ 20 جانفي 1946 بزعامة المناضل فرحات حشاد، فمنذ تأسيسه كان الاتحاد العام التونسي للشغل بمثابة الوريث لجامعة عموم العملة التونسية، فقد تبنى

[1] محمد بوطيبي: **الحركة النقابية التونسية**، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية، جامعة، المدية ، المجلد الثامن، العدد 13 ديسمبر 2017، ص37.

الاتحادانشغالات واهتمامات العمال التونسيين من خلال القيام بمجموعة من الإضرابات بغية المطالبة بتحسين أجور العمال مثلما حدث في أوت 1947 حيث جرح 150 عاملا وتوقيف 50 عامل عن الشغل.

لقد استطاع المناضل فرحات حشاد أن يعطي نفسا كبيرا للعمل النقابي في تونس، حيث أصدر حولية "مشاكل اجتماعية في تونس" واستقال من الاتحاد النقابي العالمي (F.S.M) المساند للحركة الاستعمارية، لينظم إلى الاتحاد العالمي للنقابات الحرة S.I.S.L قصد رفع القضية التونسية إلى الأمم المتحدة للمطالبة بالاستقلال.

وقد عرفت الفترة الواقعة مابين شهري جويلية وديسمبر 1951 نشاطات سياسية كثيرة قام بها فرحات حشاد حيث زار ميلان – سان فرانسيسكو – بروكسل قصد جلب التأييد للقضية التونسية، كما أشارت بعض التقارير السياسية إلى التلاحم الذي حدث بين نقابة الاتحاد العام للشغل التونسي والحزب الحر التونسي الجديد 1952، من خلال التقارير التي حررها المقيم العام الفرنسي في تونس روبار شومان[1].

البعد المغاربي للاتحاد العام التونسي للشغل: ألقى فرحات حشاد خطابا في شهر مارس 1947، داعيا العمال والحرفيين في القطرين الجزائري والمغربي إلى تشكيل نقابات مستقلة، تضم مختلف فروع الوظائف والصناعات والحرف للدفاع عن اليد العاملة في بلدان شمال إفريقيا.

كما دعا في أفريل 1949 إلى ضرورة تكوين جبهة عمال شمال إفريقيا، وربط نجاح الحركة النقابية بتونس بظهور نقابات مستقلة في الجزائر والمغرب الأقصى[2].

[1] محمد بوطيبي: المرجع السابق، ص41.

[2] ليلى بوجلال: **النضال النقابي في الحزب الدستوري التونسي الجديد**، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، ص217.

لقد أضحى الاستعمار الفرنسي بخطورة نشاط الحركة العمالية النقابية التونسية بقيادة فرحات حشاد، حيث تم اغتياله في 05 ديسمبر 1952 وكان هذا سببا مباشرا في بدء الكفاح المسلح عام 1952، وفي عام 1953 تولى أحمد بن صالح قيادة الحركة النقابية وسار في نفس الطريق الذي سار عليه فرحات حشاد، ولم يتوقف الاتحاد عند هذا الأمر، بل إنه الذي شق الحزب الدستوري حول الاستقلال الداخلي سنة 1955، ساند الاتحاد جناح بورقيبة على حساب صاع بن يوسف، حيث تواصل التقارب بين الاتحاد والحزب الدستوري الجديد إلى حد تسميته عدد من الكوادر النقابية في أول حكومة استقلال وكان أحمد بن صالح الذي كان أمينا عاما للاتحاد المثال الأوضح على هذه العلاقة[1].

[1] نفسه، ص217.

الفصل الأول: السيرة النضالية لصالح بن يوسف

المبحث الأول: المولد – النشأة – الدراسة

المبحث الثاني: النضال السياسي لصالح بن يوسف

المبحث الثالث: النزاع داخل الحزب الدستوري القديم وموقف صالح بن يوسف منه

المبحثالأول: السيرةالذاتية: المولد والنشأة والدراسة

ولد صالح بن يوسف يوم 11 أكتوبر 1907م في منزل بن يوسف بمغراوة، وهي قرية تبعد أربعة كيلومترات عن مدينة ميدون شرق جزيرة جربة.

تقع مغراوة على مرتفع يطل المرء منه على سهول جربة وبساتينها الجميلة.

شب صالح بن يوسف في هذه البيئة المتفتحة، وكانت عائلته تتمتع بسمعة طيبة في جزيرة جربة، كما في بقية أنحاء البلاد، حيث اهتمت أجيالها المتلاحقة بتطوير أعمالها التجارية وممتلكاتها العقارية.

تعلم صالح بن يوسف القرآن الكريم في جامع حاضر باشا، والمبادئ الأولى للقراءة والكتابة.

في سنة 1915 قرر جده إرساله إلى تونس العاصمة، صحبة أخيه البشير لمزاولة تعليمهما العصري في مدارس العاصمة، حيث إلتحق صالح بن يوسف بالمدرسة الإبتدائية في ساحة التريبونال، وحصل منها على شهادة إنهاء التعلم الإبتدائي سنة 1922م، ثم إلتحق بمعهد كارنو[1] بالعاصمة، وبما أنه لم يكن للغة العربية نصيب هام في ذلك المعهد طلب صالح بن يوسف من والده أن يساعده في تعلم مبادئها.

انتدب له الشيخ "محمد مناشو" وهو أحد شيوخ جامع الزيتونة، يتمتع بثقافة واسعة في اللغة العربية، فاهتم به اهتماما كبيرا لما لاحظه فيه من نباهة وذكاء وكان يتردد على بيت بن يوسف في

[1] معهد كارنو: هي مدرسة فرنسية أنشأت لتعليم الفرنسية ومبادئها بغرض الحد من تأثير جامع الزيتونة.

الأوقات التي يعود فيها التلميذ صالح بن يوسف من المدرسة فيحاوره في الأدب واللغة والفقه، وفي بعض المواد العلمية كالرياضيات والهندسة[1].

كان صالح بن يوسف يهتم بالتعرف على عادات وتقاليد بلاده، فقد كان دائم التساؤل لمعرفتها بدقة، ويرجع احتكاكه بالمتقدمين في السن والحوار معهم في هذا المجال، فأبدى منذ صغره تمسكه بتراث بلده، وبهويته الوطنية العربية الإسلامية.

كان صالح بن يوسف يشده الحنين إلى جربة، ولكن المسافات البعيدة كانت تمنعه من العودة، ولم يتيسر له ذلك سوى مرة واحدة عام 1925م لما رافق أخاه البشير بن يوسف بصحبة السيد عبد العزيز العربي وهو أحد أصدقاء والده.

ويذكر السيد البشير بن يوسف أن أخاه صالح بن يوسف كان ولوعا بركوب البغال، فكثيرا ما كان يمتطيها لزيارة ميدون أو حومة الوسق التي كانت تبعد عن منزل صالح بن يوسف 24 كلم.[2]

كان صالح بن يوسف شغوفا بمعرفة العادات والتقاليد، وكانت العودة إلى تونس في آخر الصيف على متن "التريسي" (زورق شراعي) إلى حد صفاقص ثم القطار "الإكسبرس".

عاد صالح بن يوسف إلى مقاعد "ليسي كارنو" يتطلع إلى ما أحرزه العالم الغربي من تقدم في مجال العلوم، لكن بأقدام ثابتة على أرضية التراث والهوية.

كانت تلك الصائفة التي قضاها في جربة في سن المراهقة حيث يناهز عمره 18 سنة، أول منعرج في حياته، فهم من خلاله أن الانفتاح على المعارف وعلى العلوم لا يتنافى أبداً مع التمسك بالهوية الوطنية.

[1] منصف الشابي: **صالح بن يوسف– حياة كفاح**، ط2، دار نقوش عربية، تونس، 2007، ص19.

وقد دفعه هذا الشعور إلى مزيد البحث عن المعرفة، فراح يزاول الدروس الليلية بمدرسة العطارين حيث يجتمع مع أساتذة ذاع صيتهم أمثال الصادق زمرلي و الأصرم والفرنسي ميرا مدير المعهد الصادقي، ومارسي مدير مدرسة العطارين.[1]

كانت هذه المدرسة تعد التلاميذ إعدادا خاصا للترجمة، فتزيدهم تضلعا في اللغتين العربية والفرنسية، فقد حصل صالح بن يوسف على شهادتين من تلك المدرسة Brevet Arabeوالدبلوم Diplôme Arabe، وفي عام 1929 نال شهادة البكالوريا من ليسي كارنو.[2]

كانصالحبنيوسفيتابعن

مايصدرعنالحزبالحرالدستوريمنبيانات،وعنأقطابهمنمقالاتفيالصحف،لكنهلمينتميإلىذلكالحزبقبلسنة 1930.[3]

المبحثالثاني:النضالالسياسي لصالح بنيوسف

انتعشت الحياة السياسية لتونس ما بين الحربين.

انعقدالمؤتمر الأفخارستي من 7الى 11ماي 1930

فيقرطاج،وتمفيهااستعراضآلافالأطفالالذينيرتدونأزياءموشاةبالصلبان،تذكربالحملةالصليبيةالثامنةالتيقاد هالويسالتاسعلاحتلالتونسسنة

1270،وهوماستفزالمشاعرالإسلاميةللتونسيينونظروإلىهذاالمؤتمرعلىأنهاالحملةالصليبية.

[1] منصف الشابي:**صالح بن يوسف– حياة كفاح**، ص19.

[2] منصف الشابي، المرجع السابق، ص20.

[3] نفسه.

وقد ظهرت الصبغة التبشيرية للمؤتمر منذ البداية عندما كان رجال الدين يوزعون المنشورات باللغة العربية لدعوة المسلمين إلى اعتناق المسيحية[1].

وللإشارة فإن هذه الاستفزازات التي أقدمت عليها السلطات الاستعمارية قد لقيت معارضة شديدة من طرف الشعب التونسي، كما أنها اثارت هيجانا صاخبا وسط العديد من الوطنيين المثقفين أمثال صالح بن يوسف الذي أدخل السجن رفقة نخبة من اصدقائه المتحمسين للنضال الوطني، وبعد إطلاق سراحهم أدرك بن يوسف ان العالم يتكون من أقوياء وفقراء وضعفاء ولا سبيل للكرامة إلا بتحرير الوطن من قبضة الاستعمار.

وفي سنة 1930 سافر صالح بن يوسف إلى باريس حيث انخرط في سلك كلية الحقوق بمعهد السربون الذي تحصل منه على شهادة الليسانس في الحقوق والعلوم السياسية خلال السنة الجامعية 1933-1934.

اهتم بن يوسف منذ السنة الأولى لإقامته في فرنسا بتأسيس أول شعبة دستورية للحزب وكان ذلك في سنة 1931، الأمر الذي ساعده على الاتصال بطلبة الجزائر والمغرب الأقصى، فتزعزعت بذلك فكرته الوحدوية[2].

ومن خلال المشاركة جمعية طلبة شمال إفريقيا الذي أسسها الشاذلي خير الله[3]، وبعد عودته إلى تونس في صيف 1939، فتح مكتب للمحاماة بحي باب السويقة، الذي أصبح في واقع الأمر مركزا للاجتماعات السياسية، حتى أنه كان يسميه مكتب الجميع، ذلك أن صالح بن يوسف كان

[1] محمد سعيد عقيب: **المؤتمر الأفخارستي بقرطاج ماي 1930 وتطور العمل النضالي الوطني بتونس**، مجلة البحوث والدراسات، العدد 22 –السنة 2016.

[2] عبد الحفيظ موسم: **الحركة اليوسفية والثورة الجزائرية**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة ابو بكر بلقايد، تلمسان 2016، ص79.

[3] جمعية طلبة شمال إفريقيا: أنشأها نجم شمال إفريقيا في 28 ديسمبر 1927 تهدف إلى يقظة شعوب المغرب العربي.

يحضر اجتماعات الديوان السياسي قبل أن يصبح عضوا فيه، وتألف بنشاطه بعد إلقاء القبض على قيادة الحزب الدستوري الجديد في شهر سبتمبر 1934، فقبض عليه وأبعد بدوره إلى برج الباف ولم يطلق سراحه إلا في شهر ماي 1936.

ولما انعقد المؤتمر الثاني للحزب الدستوري الجديد بين 30 أكتوبر و02 نوفمبر 1937 بنهج التريبونال، أنتخب صالح بن يوسف عضوا في الديوان السياسي للحزب وتم اختياره بالإجماع أمين مال الحزب.

وإثر حوادث 09 أفريل 1938 عمدت السلطات الاستعمارية إلى حل جميع المنظمات الوطنية وإيقاف الصحف وإلقاء القبض على عدد كبير من الوطنيين التونسيين من أمثال بن يوسف الذي أودع حصن "سان نيكولا" بمرسيليا طيلة الفترة الممتدة من ماي 1940 إلى أفريل 1943.

وبعد سفر بورقيبة 1945، إلى مصر للتعريف بالقضية التونسية، وجه بن يوسف عنايته إلى تكوين المنظمات النقابية وبفعل مساعيه رفقة زملاءه، تكون الاتحاد العام التونسي للشغل سنة 1946 برئاسة شرقيه محمد الفاضل بن عاشور، وتأسيس الجامعة العامة للنقابات الفلاحية سنة 1946 وإتحاد نقابات الصناعية وصفار التجار بالقوا التونسي 1947، وإتحاد النساء التونسيات وبالإضافة إلى ذلك فقد شارك بن يوسف للتحضير لمؤتمر ليلة القدر 23 أوت 1946، وبذلك يكون صالح بن يوسف قد نجح ميدانيا في توحيد القرى الوطنية التونسية[1].

وبعد زواجه من السيدة صوفية زهير في 07 ماي 1947، واصل بن يوسف مهامه النضالية من خلال مشاركته في حكومة محمد شنيق التفاوضية التي شكلت يوم 17 أوت 1950 من أجل الوصول بتونس إلى الاستقلال الداخلي على مراحل، وشغل حينها وزير العدل بموافقة حزبه.

[1] عبد الحفيظ موسم: المرجع السابق، ص80.

لقد فشلت تجربة المفوضات خاصة بعد صدور مذكرة 15 ديسمبر 1951 التي تقر بإزدواجية السيادة في تونس.

سافر صالح بن يوسف رفقة محمد بدرة إلى باريسن وقدما في يوم 14 جانفي 1952 شكوى تونسية في شكل الخلاف الحاصل بين تونس وفرنسا إلى الأمانة العامة للأمم المتحدة التي عقدت حينذاك جمعيتها العامة بقصر "شايو" في باريس، ولما بلغ نبأ اعتقال حكومة شنيق من طرف المقيم العام الفرنسي هوت كلرك بتونس، قررا الوزيرين مغادرة إلى باريس خفية ثم غادرا باريس يوم 26 مارس 1952 متجهين نحو بروكسل ومنها إلى جنيف ثم إلى القاهرة لتلقي الدعم من مكتب العربي بالقاهرة.

من القاهرة تابع صالح بن يوسف كل مراحل الكفاح المسلح بتونس، كما تابع أطوار المفاوضات الفرنسية التونسية بعد تصريح منديس فرانس في 31 جويلية 1954 الذي يعترف باستقلال تونس الداخلي، ولم يعد بن يوسف إلى تونس إلا في 13 سبتمبر 1955 ليقود بذلك حركة المعارضة للاتفاقيات الفرنسية التونسية الموافقة يوم 03 جوان 1955 التي كرست في نظره الأوضاع الإستعمارية الفرنسية القائمة في تونس.

طالبت حكومة الطاهر بن عمار بإيعاز من المقيم العام الفرنسي والحبيب بورقيبة إلقاء القبض على بن يوسف بتهمة التآمر على أمن الدولة، ففر بن يوسف إلى ليبيا في 8 جانفي 1956 حيث طلب اللجوء السياسي، ثم انتقل إلى القاهرة ليلتحق بمكتب الحزب إلى أن تم اغتياله في 12 أوت 1961 بألمانيا[1].

المبحث الثالث: النزاع الإيديولوجي داخل الحزب الدستوري القديم وموقف صالح بن يوسف

[1] عبد الحفيظ موسم: المرجع السابق، ص 83.

يعالج هذا المبحث موقف صالح بن يوسف من الخلاف الحاصل داخل الحزب الدستوري القديم، ومحاولته الجمع بين المتخاصمين.

إن عبد العزيز الثعالبي كان قد بنى الحزب الدستوري التونسي إيديولوجيا على أسس فكرية تمتد جذورها إلى الفكر السلفي الإصلاحي الذي نال به جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وربط نضال الحزب الدستوري التونسي بالحركة الوطنية في المشرق والمغرب[1].

إن الثعالبي أول من نال بتوحيد الامة العربية من المحيط إلى الخليج، وعقد صلة صداقة مع الحركات الوطنية في المشرق العربي، فكان على صلة حميمة لحزب الوفد للحاج الأمين الحسيني وبزعماء سوريا والعراق.

وقد تعرف على المجاهد السوري عز الدين القسام الذي التحق بفلسطين ليجاهد ضد الاحتلال البريطاني والاستعمار الصهيوني، فتعاونا معا علة خطة للنضال المسلح، كما أن الثعالبي اشترك في وضع الأسس التنظيمية لهذه الحركة لمسلحة ودعا أيضا إلى دعم ومساندة حركة القسام المسلحة بفلسطين بالمال والرجال.

لقد تعرض الثعالبي إلى مضايقات من طرف السلطات الاستعمارية الفرنسية، مما ادى به إلى الهجرة إلى المشرق العربي، وبذلك بقي الحزب بدون هذه الشخصية الكارزمية التي كان الشعب التونسي يتطلع إليها[2].

كان هذا الحزب معارض لسلطة الحماية والاستعمار الفرنسي بجميع أنواعه، وكان يهدف دوما إلى استقلال تونس، وقد وضع لذلك برنامجين: الأول إصلاحي عاجل يمهد الطريق للاستقلال، والثاني آجل قوامه الاستقلال الكامل والمحافظة على الشخصية التونسية[1].

[1] طاهر عبد الله،**الحركة الوطنية التونسية (رؤية شعبية قومية)**، ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ص 61.

[2] طاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 60.

إن برنامج الحزب الدستوري القديم لم يعجب بعض السياسيين في تونس لذا انتشق عنه ثلاثة أحزاب سياسية: هي الحزب الإصلاحي، الحزب المستقل، وهذا بإيعاز من السلطات الاستعمارية الفرنسية[2].

إن أهم تصدع عرفه الحزب الدستوري القديم حينما انشقت جماعة العمل التونسي سنة 1934 وعلى راسها الحبيب بورقيبة وأسست حزبا لها في 03 مارس 1934، وأطلقت على نفسها الديوان السياسي واعتبرت نفسها عبثا امتدادا للحزب الحر الدستوري، ووضعت برنامجا لنفسها لا يختلف عن برنامج الحزب الإصلاحي، فحافظ الديوان السياسي على روح الحماية وسار على سلطتها المنحرفة في تونس وعلى نصوص المعاهدات الفرنسية التونسية، وطالب بالتعاون مع الفرنسيين، واتبع برنامجا سياسيا يهدف إل استقلال تونس استقلالا ذاتيا تكون بمقتضاه مرتبطة بفرنسا، في إطار اتحاد متوسطي للمستعمرات تحت لواء فرنسا الكبرى.

أما الحزب الحر الدستوري القديم فقد ركز على تحقيق مطالبه العاجلة المتمثلة في تأسيس مجلس استشاري يتكون من أعضاء تونسيين وفرنسيين منتخبين بالاقتراع العام، وحرية الصحافة والاجتماع وتأسيس الجمعيات ومشاركة التونسيين في شراء أسهم الأراضي الزراعية وإجبارية التعليم.

لقد كانت هذه المطالب تهدف إلى تمهيد الطريق إلى تنفيذ برنامج على المدى البعيد الهدف الاساسي منه الاستقلال التام وتكوين نظام تونسي حر، تبقى السلطة فيه بيد الأسرة الحسينية الحاكمة[3].

---

[1] يوسف مناصرية، **الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية (1934–1937)**، دار المعارف للطباعة والنشر، ط2، تونس، ص 21.

[2] يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 08.

[3] يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص 10.

لقد استبشرت السلطات الاستعمارية بانقسام الحركة الوطنية، وعملت على توسيع الخلاف بين شقي الحزب بواسطة المقيم العام الفرنسي مارسيل بيروطون، ظنا منه بأنه يستطيع إخماد الحركة الوطنية ويأجج نار الفتنة بين الوطنيين التونسيين.

لقد بدأت المعارك الصحفية والحزبية على صفحات جريدة العمل لسان حال الحزب الحر الدستوري الجديد، وجريدة الإرادة لسان حال الحزب الحر الدستوري القديم بين المنصف المستيري ومحي الدين القليبي في الحزب القديم، والطاهر صفر ومحمود الماطري في الحزب الجديد، كل يتهم الآخر بما عنده فالجدد يتهمون الشق الآخر بالجمود والرجعية والسلبية، والقدامى يتهمون الجدد بالارتجال والارتماء في أحضان الغرب الاستعماري والثقافة الغربية.

وعندما شعر بيروطون بخيبة أمله اتضح له أن مجرد انقسام للحركة الوطنية، كما أنه أحس أن هذا الخلاف لا يتعدى كونه خلافا بين الوطنيين في أسلوب مقاومة التواجد الفرنسي في تونس، لذا سلطت سلطات الاحتلال البطش على كلا الجناحين القديم والجديد، فمن الحزب الجديد الماطري والطاهر صفر وصالح بن يوسف والبحري قيقة والحبيب بورقيبة، ومن الحزب القديم محي الدين القليبي والدكتور أحمد بن ميلاد.

في شهر أفريل سنة 1936 تولت الجبهة الشعبية الحكم في فرنسا حيث قامت بإقالة المقيم العام مارسيل بيروطون وتعيين مقيم جديد "أرمون قيون" الذي قام بإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين واتخذ سياسة الاتصال بالزعماء الوطنيين التونسيين ذوي النزعة الفرنسية منهم الحبيب بورقيبة الذي تبنى السياسة القائمة على مبدأ "خذ وطالب" أو مبدأ سياسة المراحل[1].

[1] الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 63.

اعتبرت جريدة الإرادة بتاريخ 03 جويلية 1934 الأسباب الحقيقية التي آلت إليها البلاد وجعلتها فريسة للخلافات إلى غياب الشيخ عبد العزيز الثعالبي الموحد، وإلى الأزمة الاقتصادية الحادة التي اجتاحت البلاد، وتشدد المقيم العام الفرنسي.

وقد ظل الصراع بين الطرفين على اشده وتمركز خاصة حول مفهوم الاستقلال، وطرق الكفاح[1].

عاد الشيخ الثعالبي أبو "الحركة الوطنية" في 08 جوان 1937، وقد امتلأ بتجربة وحكمة ليواجه حقائق ومتغيرات جديدة وكان استقباله قد فاق التوقعات[2].

لقد حاول الشيخ الثعالبي لدى عودته إعادة توحيد الحزب بعد العفو عن المعتقلين سنة 1936، حيث اتصل بالشقين للتوفيق بينهما، وألح على ضرورة توحيد القوى الوطنية، لكن بورقيبة زعيم الحزب الجديد ناور وحاول الهروب من أي محاولة تستهدف توحيد الحزبين.

اعتبر الثعالبي مواقف الحزب الحر الجديد من توحيد الحركة الوطنية غير مجدية وغير إيجابية، لكن محاولته باءت بالفشل لذا التجأ إلى الاتصال المباشر بالشعب لتكون له الكلمة الفاصلة، لذا عقدت عدة اجتماعات في العاصمة تونس والمدن الأخرى، حيث وقف الثعالبي ينادي باستقلال شمال إفريقيا التام وقد زعزعت الآراء التي طرحها في خطابه أركان النظام الاستعماري في تونس، فما كان من الحزب الدستوري الجديد إلا أن بدأ في حملات التشويه التي كانت السلطات الفرنسية ترحب بها، خاصة أنها تستهدف شخص الثعالبي في بعض الصحف حيث ارسل الحزب الجديد مجموعة برئاسة الهادي نويرة للتشويش، كما وجه الحزب الدستوري القديم اتهامات للسلطات الفرنسية بتدبير محاولة اغتيال الثعالبي وإرهابه.

[1] يوسف المناصرية، المرجع السابق، ص 21.

[2] الصافي سعيد، **بورقيبة سيرة شبه محرمة**، رياض اليس للكتب والنشر، بيروت، ط1، 2000، ص 101.

وفي سنة 1937 عقد الحزب الدستوري الجديد مؤتمره بقصر هلال، حيث أعلن عن قرارات هامة تتمثل في العصيان المدني ومجابهة الاستعمار بالعنف مما أدى إلى استقالة رئيس الحزب محمود الماطري الذي لم يتجاوب مع العنف واستقال من منصبه إثر الخلاف الذي وقع بينه وبين الحبيب بورقيبة الأمين العام للحزب[1].

لكن الحبيب بورقيبة بقي مسيطرا على الحزب الحر الدستوري الجديد، فقد شن مع الديوان السياسي حملات دعائية ضد عبد العزيز الثعالبي وفكرته التوفيقية، وعقد يوسف الروسي عضو مجلس الديوان السياسي اجتماعا في مركز القلعة الكبيرة بتاريخ 03 سبتمبر 1937، وصرح فيه بأن الثعالبي ما هو إلا خائن وجاسوس لحساب الإقامة الفرنسية[2].

تفاقم النزاع وصار على أشده بين الثعالبي الذي أراد تحدي الزمن لتحقيق الوفاق بين الحزبين وتوحيد الحركة الوطنية والعمل على استقلال البلاد استقلالا كاملا وبين بورقيبة الذي أراد الزعامة وسحق اللجنة التنفيذية وإقصاء رجالها، وتنفيذ البرنامج القائم على السيادة المشتركة بين الفرنسيين والتونسيين والتعاون مع سلطات الحماية على تطبيق الإصلاحات، وبقيت اللجنة التنفيذية تسير في فلك فكرة الثعالبي وتحميه في جولاته الإعلامية، ولو أنها فعلت كما فعل الديوان السياسي من الإكثار من التجول، وتحسيس الشعب في المدن والقرى لتغير الوضع تماما.

وقد توصل بورقيبة إلى تكوين كتلة معارضة للثعالبي عملت على الوقوف أمامه في كل مكان قصده، وتطبيقا لفكرته تابع بورقيبة جولته الإعلامية المضادة للثعالبي، وخلال اجتماع مركز العروسة يوم 20 سبتمبر طلب السيد ماري إيغيل رئيس جمعية المعمرين بالمركز المشاركة واغتنم بورقيبة فرصة حضوره ليركز على موضوع التعاون الفرنسي التونسي الصريح والعادل والكامل، وتعهد السيد ماري بعمل كل ما في وسعه لتحقيق ذلك، وترأس صالح بن يوسف أمين مال

[1] الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص ص 64-65.

[2] يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 35.

الديوان السياسي اجتماعين يوم 22 سبتمبر من السنة نفسها في (ربعة) , (سليانة)، ونادت جميع الخطب في جميع الحملات الإعلامية بأحقية الديوان السياسي من غيره بالقيادة والزعامة ونددت بخيانة الشيخ الثعالبي، وهاجمت جريدة "الإرادة" لسان حال اللجنة التنفيذية بورقيبة ووبخته على تحالفه مع الكولون ومخاصمة إخوانه، وكان رد بورقيبة قوله: "هذا عمل المتعصبين الذين يريدون أن يعطوا سلاحا للذين يتهموننا بأننا نريد أن نرمي فرنسا في البحر"، وبطبيعة الحال المقصودين بالتعصب هم الرافضون للتعامل مع فرنسا[1]، وقد انزعج بورقيبة من شعبية الشيخ، فأحبط اتباع الصلح الذي كام مزمعا عقده بين وفدي الحزبين القديم والجديد وعمل على تخريب[2].

عاد الحبيب ثامر من فرنسا لتولي الحركة الوطنية بعد ما حل بها من محنة، وكان ثامر يتصف بحركة دائمة ونفسية صامتة، لذا أعطى الحركة الوطنية دما جديدا واستمرارية في النضال، فكان العقل المسير للحركة فقد قام بإعادة تنظيم الحزب وأسس جريدة (تونس الفتاة)، وفي يوم 12 جويلية 1940 قاد الحبيب ثامر وفدا إلى قصر الباي للمطالبة بإطلاق سراح المساجين، وألقي عليه القبض وبعد إطلاق سراحه سافر إلى القاهرة والتقى بالحبيب بورقيبة وساهم مع آخرين في تأسيس مكتب الحزب الحر الدستوري التونسي يوم 09 جوان 1946 ومكتب المغرب العربي في 15 فيفري 1947.

كما تعرض الحزب الدستوري القديم لانتكاسة جديدة بوفاة الشيخ عبد العزيز الثعالبي يوم 01 أكتوبر 1944 أبو الحركة الوطنية في تونس وأحد المبشرين الأوائل بوحدة الأمة العربية وخلفه في قيادة الحزب محي الدين القبلي الذي سار بالحزب الحر الدستوري القديم على نفس المنهج والمبادئ التي خطها الثعالبي، وربط محي الدين جهاده بجهاد إخوانه في المغرب والمشرق من ليبيا إلى الجزائر

[1] يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص ص 38-41.

[2] بلخوجة الطاهر: **الحبيب بورقيبة سيرة زعيم، شهادة على العصر**، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1999، ص 04.

إلى المغرب، وبعد سفر بورقيبة إلى القاهرة وذلك بعد تأسيس الجامعة العربية 1945 لرفع القضية التونسية أمامها، تولى قيادة الحزب الحر الدستوري الجديد صالح بن يوسف الذي عمل على إعادة تنظيم الحزب الحر الدستوري الجديد وتوحيد جهود التيارات السياسية في تونس بدعوته إلى مؤتمر ليلة القدر في 23 أوت 1946 تحت رئاسة القاضي الوطني العروسي الحداد وقد حضر هذا المؤتمر كل القوى السياسية.

وقد ضم المؤتمر كلا من الحزبين الدستوريين القديم والجديد بزعامة محي الدين القبلي ومندوبا عن الاتحاد العام التونسي للشغل برئاسة فرحات حشاد، وممثلين عن المنظمات التجارية والصناعية والزراعية والثقافية ونقابات الموظفين ومندوبين عن جامع الزيتونة، وقد انتهى المؤتمر بالمصادقة على ميثاق وطني أعلن فيه إلغاء الحماية والمطالبة بالاستقلال التام لتونس وانضمامها إلى الجامعة العربية، وعند الجلسة الأخيرة للمؤتمر هاجمت السلطات الفرنسية مقر المؤتمر واعتقلت 60 من أعضائه ونكلت بالوطنيين بعد أن وجهت إليهم تهمة التآمر على أمن الدولة الداخلي والخارجي.

وفي النصف الثاني من عام 1949 بدأ تحول خطير في سياسة الحزب الحر الدستوري الجديد، ولما كان هذا الحزب يعد القوة القائدة للحركة التونسية، فقد انعكس هذا التحول على مسيرتها وعلى أهدافها المعلنة منذ ميثاق (مؤتمر ليلة القدر)، فشق الموقف الوطني ووضع البدايات لانشقاق الحزب.

لذا فكثيرا ما يؤاخذ الحزب الحر الدستوري الجديد بوجهه المزدوج فهو غربي ديمقراطي أمام الفرنسيين، وإسلامي كاره للأجانب عندما يتوجه إلى أنصاره على أنه ما من شك أن مفكري الحزب مخلصون حقا في اعتناقهم الأفكار الغربية.

المبحث الثاني: موقف الباي والنقابات المهنية وجامع الزيتونة من الخلاف داخل الحزب الدستوري الجديد.

يعالج هذا المبحث موقف الباي والنقابات المهنية والزيتونيين، بحيث كانت مواقفهم متباينة، فمنهم من انتصر لبورقيبة على حساب صالح بن يوسف. أو العكس.

موقف القصر: لمعرفة موقف القصر علينا أن نعرّج قليلا لنسلط الضوء على شخصية استثنائية وحيدة بين بايات تونس الذين تولوا الحكم منذ عهد الحماية الذي فرضه منطق الإدارة الاستعمارية ألا وهو جلالة الملك المنصف الباي (1881-1943) والذي لما بلغ سنّ الدراسة ألحقه والده الطيب الذكر جلالة محمد الناصر بالقسم الابتدائي من المدرسة الصادقية ليختلط بأفراد شعبه وأبناء أمته من الصغر فدرس بها اللسان العربي الفرنسي والإيطالي ثم التحق بمدرسة "سان مبير" العسكرية الفرنسية رفقة أخويه حسين باي ومحمد باي.

تزوّج جلالة الملك المنصف وأنجب من الأبناء ثلاثة، صلاح الدين وعمر والرؤوف ولما اعتلى جلالة الملك محمد الناصر العرش اتّخذ ابنه المنصف مستشاراً له وحافظاً لسرّه.[1]

لقد انتصب المنصف مكافحاً عنيداً، ومن مواقفه المشرفة مطالبته باستقالة والده الناصر باي (1906-1922) سنة 1922 عندما قبل البيان الذي عرضه عليه المقيم العام الفرنسي لوسيانسان. كما يُعتبر هذا الباي من البايات المستنيرين المثقفين، كما تركت زوجة والده ليلى قمر بصماتها على شخصية المنصف باي والذي أطلق عليه لقب الباي الدستوري.

ومن مواقفه النبيلة رفضه مساندة فرنسا في الحرب العالمية الثانية لذا أصدر الجنرال جيرو قائد الجيوش الفرنسية بتونس في 14 ماي 1943 قراراً بخلع الباي ونقله جواً إلى "الأغواط" ومنها إلى "تنس" شمال الجزائر ومنها إلى "بو" جنوب فرنسا حيث توفي هناك في 01 أكتوبر 1948.[1]

---

[1] محي الدين قلبي، **مأساة عرش. ت: مكتب الاستعلامات للجنة التنفيذية للحزب الدستوري التونسي**، د. ت، ص35.

استطاع صالح بن يوسف خلال فترة عمله ما بعد الحرب العالمية الثانية على تمتين الروابط بين هياكل الحركة الوطنية والقصر حيث كسب تأييد عدد هام من أفراد عائلة البايات.

وتعود متانة هذه الروابط التي كانت تجمعهم إلى فترة توليه منصب وزير داخل حكومة شنيّق، حيث كان أفراد الأسرة الحاكمة يعتقدون أن مستقبل النظام الملكي سيكون أفضل من خلال تدعيم موقف بن يوسف وبقائه في السباق من أجل الظفر بمواقع هائلة داخل جهاز الدولة الذي سيتم تكريسه.[2]

إن كل المصادر تذهب بالقول أن خيار الباي الظاهر باتجاه الخلاف بين بورقيبة وبن يوسف غير أن العديد من المؤشرات ترجح ميل الباي وخاصة ابنه الأمير "الشاذلي" لصالح بن يوسف، كما أن الباي رفض أن يبعث من ينوبه في مؤتمر صفاقس، وفي الواقع كان الباي وغيره من العائلة يتخوفون من ميولات بورقيبة الجمهورية، وهو ما اعتمده بن يوسف في دعايته ضد بورقيبة.[3]

أمّا الشاذلي باي نجل آخر بايات تونس في حديثه عن البايات والحركة الوطنية وفرنسا وبورقيبة وبن صالح، فقد صرّح أن هتمّ تجريد العائلة المالكة من ممتلكاتها مباشرة إثر إعلان الجمهورية في 25 جويلية 1957 وإلحاقها بممتلكات الدولة.

أمّا العلاقة بين القصر وصالح بن يوسف. فقد ذكر الشاذلي باي أنهم كانوا يلتقون مع صالح بن يوسف في دار بوصفارة في حمام الأنف، ويذكر المتحدث أن بن يوسف قال لعمر النيقر: "نتفاهم مع الباي ونحوله إلى صديق أفضل من ان يصبح عدوا لنا...".

شنيق: 1889-1976: تولى الوزارة الكبرى مرتين في تونس.

الجزانزيرو: 1879-1949: ضابط وسياسي فرنسي، عضو في المقاومة الفرنسية في الحرب. ع. 2.

[1] د. عبد الجليل التميمي،**الدور الوطني للمنصف باي**، محاضرة ألقاها بقصر قرطاج- تونس- يوم 2012/09/02.

[2] أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إعداد عبد الحفيظ موسم، الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية.

[3] التحرّر الوطني ووحدة المغرب العربي لدى أحمد بن بلّة وصالح بن يوسف، رسالة ماجستير من إعداد الطالبة نجاة عبو، جامعة محمد بوضياف، المسيلة. ص102.

ويذكر المتحدث أن الباي كان يحترم كثيرا صالح بن يوسف، أكدّ أنه عندما يأتي يفرح به الجميع كثيراً على عكس بورقيبة وأضاف: "ذات مرّة قدم بورقيبة وقبّل يد الباي ولكن الباي لم يتحرك على الإطلاق وعامله ببرودة تامّة، ولما جاء صالح بن يوسف أوصله الوالد إلى حدود الباب الخارجي...".

ورجّح المتحدث أن تكون لتلك المعاملة الجيدة الأثر العميق في نفسية بورقيبة، ويذكر المتحدث أنّ بورقيبة قال ذات مرّة: "متى يموت الباي ونرتاح منه...".

وأكّد أن بورقيبة امتلك مخططاً منذ البداية لإعلان الجمهورية وإلغاء الملكية، وأضاف الأمين باي أنه كان متخوفا من بورقيبة، ويذكر المتحدث كيف كان عند الباي عند قدوم بورقيبة وقال لهم: "والله ستندمون..".

وأكد المتحدث أن دعم الباي كان كبيراً للحركة الوطنية، وأضاف: لما كان صالح بن يوسف ومحمد بدرة هاربين في مصر بعثت شخصياً برسالة إلى الملك فاروق وتمّ قبولها هناك والترحيب بها. وأشار أن فرنسا اختارت جانب البايات في البداية ثم غيّرت نهجها وسارت وفق توجهات بورقيبة.[1]

موقف الزيتونيين: كان الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة قد أنهى الدور التربوي والتعليمي لجامع الزيتونة 1957 لأنه كان يعتقد أنّ مناهجه التعليمية تتعارض تعارضاً تاماً مع مشروعه التحديثي الذي كان يعتمد على الأصول والنماذج الفرنسية خصوصاً فيما يتعلق بالإدارة، وشؤون الحكم، والثقافة والتعليم.

ويعود عداء بورقيبة لجامع الزيتونة ومشايخه إلى فترة الشباب، وبالتحديد إلى الثلاثينيات من القرن الماضي، أي بعد عودته من باريس لممارسة مهنة المحاماة، حيث شرع في دراسة الواقع السياسي والاجتماعي، وفي الاتصال بالنخب والشخصيات السياسية خصوصاً تلك التي كانت تنتسب إلى

[1] الشاذلي **"نجل آخر بايات تونس"، في حديث هام عن البايات والحركة الوطنية...**،الشروق يوم 2005/06/18، تونس.

الحزب الدستوري القديم الذي كان أقوى حزب وطني في تلك الفترة، وكان جلّ القادة في هذا الحزب من خريجي جامع الزيتونة وشيوخه، ومن أبرز هؤلاء الشيخ عبد العزيز الثعالبي(1874-1944).

وكان من الطبيعي أن تندلع معارك سياسية حامية بين الزعيم الشاب الحبيب بورقيبة، وبين قادة الحزب الدستوري القديم وفي مقدمتهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي. وقد أفضت هذه المعارك عام 1934 إلى انفصال بورقيبة عن الحزب القديم ليُنشئ الحزب الدستوري الجديد.

وأثناء احتدام الخلاف اليوسفي—البورقيبي وبالرغم من أن المعركة حُسمت لصالح بورقيبة، فإنه شرع حال تسلمه شؤون البلاد في تطبيق سياسة انتقامية ضدّ أعدائه وخصومه.

وكان شيوخ جامع الزيتونة وطلبته وخريجوه من ضحايا هذه السياسة، فقد اعتبرهم بورقيبة انصاراً لخدمة عدّوه اللدود صالح بن يوسف، ولكي يقطع الشجرة من جذورها بادر إلى إغلاق جامع الزيتونة الذي ضلّ لقرون عديدة منارة للعلم والمعرفة.[1]

لقد كان بورقيبة قاسياً مع جامع الزيتونة إذ جرّده بقرار واحد من تاريخه العريض في التربية والتعليم- وبقرار واحد أيضاً جعل كل المنتسبين إليه من طلبة وشيوخ معادين لمشروعه التحديثي ناسياً أن بعضا من هؤلاء من أمثال "الشيخ محمود قبادو" و"الشيخ سالم بوحاجة" و"الطاهر بن عاشور" وابنه "الفاضل بن عاشور" كانوا من أعمد النهضة.[2]

موقف النقابات المهنية: لم تظهر الحركات النقابية من العدم, بل هناك ظروف آنية عجّلت بانضمام العمال وانخراطهم في بداية الأمر في صفوف النقابات الفرنسية ومن أهمها سوء الأحوال الاقتصادية في بلدان المغرب العربي الناتج عن استغلال خيرات المنطقة وسكانها مما أدى إلى افتقار

---

[1] حسونة المصباحي،**جامع الزيتونة رافد التنوير والمعرفة**، الفجر نيوز- يوم 2009/05/28.

[2] المرجع نفسه.

الطبقة العاملة بسبب تدني اجور العمال بالإضافة إلى سياسة التفرقة التي مارستها السلطات الفرنسية بين المواطنين التونسيين والأوروبيين.

لقد اتّخذ النضال النقابي في تونس بعدا ثورياً فهو فضلا عن طابعه النقابي المباشر أي تركيزه على فئة معينة من المجتمع يشكّل جزءا لا يتجزأ من مهام هذه المرحلة (مرحلة الاستعمار) أي تحقيق تحرر البلاد من النير الإمبريالي.

لقد سارع الحزب الدستوري الجديد منذ تأسيسه 1934 إلى الدعاية والترويج لأفكار ومبادئ الحزب وتأطير الجماهير وتوعيتها بالقضية الوطنية حيث تبلورت فكرة احياء جامعة عموم العمالة التونسية بدعم من الحزب الدستوري الجديد حيث ظهرت في 27 آفريل 1937 جامعة عموم العمالة التونسية الثانية وانتخب بلقاسم القناوي أميناً عاماً لها. والتي لقيت مساندة من الحزب الدستوري القديم والجديد.

فبروز أي منظمة وطنية بقاعدة جماهيرية من شأنه المساهمة في النضال الوطني إلى جانب الأحزاب الوطنية, فبعد إعادة تأسيس هذه الجامعة بلغ عدد الاضرابات 220 إضراباً شملت أغلب القطاعات الانتاجية والمهنية.

إلّا أنّ الخلاف برز بعد إعلان قيادة الحزب الدستوري الجديد الإضراب العام يوم 29 أكتوبر 1937 احتجاجاً على قمع فرنسا للوطنيين المغاربة والجزائرية ولكن القناوي رفض الإضراب بحجة أنّ النقابة مهنية وليست سياسية, وغير تابعة لأي حزب, رغم محاولة بعض قادة الحزب الضغط على القناوي لكن بدون جدوى.

ردّ الحزب الدستوري الجديد في عام 1938 على القناوي بطريقة الانقلاب على القيادة بسبب مواقفها السلبية من إضراب 20 نوفمبر 1937 وحوادث بنزرت 1938 وذلك من خلال مهاجمة المؤتمر التأسيسي للجامعة وطرد قيادته ثم الحلول مكانها وتنظيم انتخابات استعمل

الدستوريون الجدد في هذا الانقلاب العناصر النقابية الدستورية ذات الوفاء التقليدي للحزب الدستوري الجديد، ممثلة في الاتحاد الجهوي ببنزرت.

بعد هذا الانفصال عمل الدستوريون الجدد على تكوين تنظيمات قويّة موالية لهم وحرصوا على أن يترأس هذه التنظيمات عناصر دستورية, وقد مكّن هذا الانقلاب الدستوريين من افتكاك القيادة التقليدية للنقابة وكسبها إلى جانبهم في النضال السياسي الوطني.

إنّ لهذه العملية الانقلابية أهميتها المتمثلة في بروزها في سياق نظري لا يؤمن بجدوى وجود حركة أو أيّة منظمة خارج صفوفه, فالحزب الدستوري الجديد هو الذي ابتكر الدفاع عن الأمة وعن العمال وهو الذي يمثّل كل التونسيين, وكل رأي مخالف لا يحمله إلّا الخونة من أعداء الحزب.

إنّ الأحداث التي شهدتها تونس في 09 آفريل 1938 وما رافقها من تشديد الخناق على الحركة الوطنية وكذا حظر نشاط الحزب الدستوري الجديد, قد عجّل بإسدال الستار عن التجربة النقابية الثانية.

في 20 جانفي 1946 ولدت الحركة النقابية التونسية الجديدة، متمثلة في الاتحاد العام التونسي للشغل. ضمن تطورات الحركة الوطنية بدوافع سياسية لا تتناقض في مطلبية مادية للفئة العاملة التونسية الناشئة نتيجة واقع الاضطهاد الاقتصادي الاستعماري، لذا انبعثت النقابة في وجه آخر, فظهر الاتحاد في أعقاب الحرب العالمية الثانية, فمثّل بذلك انعطافاً حاسما في الوعي العمالي الشعبي بقيادة الزعيم فرحات حشّاد.

احسّ الاستعمار بخطورة نشاط المعركة العمالية النقابية التونسية فدبّر اغتيال زعيمه فرحات حشّاد في 05 ديسمبر 1952.[1]

[1] ليلى بوجلال،**النضال النقابي في الحزب الدستوري التونسي الجديد**، جامعة منتوري، قسنطينة، الأكاديمية الاجتماعية والانسانية للدراسات- العدد20- جوان 2018، ص212-220.

وكان هذا الاغتيال الذي تبنّته اليد الحمراء, سبباً مباشرا لبدء الكفاح المسلح عام 1952. وفي عام 1953 تولى أحمد بن صالح قيادة الحركة النقابية.

لقد ساند الاتحاد العام التونسي للشغل بورقيبة في نزاعه مع صالح بن يوسف حول وثيقة الاستقلال, وتواصل التقارب بينهما إلى حد تسمية عدد من الكوادر النقابية في أوّل حكومة للاستقلال وكان "أحمد بن صالح" الذي كان أميناً عاماً للاتّحاد المثال الأوضح على هذه العلاقة[1], كما كان القيادي البارز "الحبيب عاشور" من المؤيدين لبورقيبة في مواجهة صالح بن يوسف أثناء انعقاد مؤتمر صفاقس عام 1955[2].

ومن عناصر الحزب الحرّ الدستوري التونسي الذين سيطروا على الاتحاد "عبد الله بن فرحات" و"أحمد التليلي" و"مصطفى الفيلالي" ممّا أدى إلى موافقة الاتّحاد على الاستقلال الذاتي في 03 جوان 1955. لقد تمكّن الحزب الدستوري الجديد بدهاء قادته وحنكتهم السياسية من السيطرة على جامعة عموم العمالة التونسية الثانية وعلى الاتحاد العام التونسي للشغل والتغلغل فيه بعد وفات النقابي فرحات حشّاد.[3]

كما أصبح موقف الاتحاد العام التونسي للشغل منسجماً مع مواقف بورقيبة فيما يخص الثورة الجزائرية وهو الموقف الذي عبّر عنه أحمد بن صالح الأمين العام للاتحاد الذي سعى للتوسط بين الزعيمين صالح بن يوسف وبورقيبة, ثم انحاز إلى موقف الأخير حيث صرّح قائلاً: "ما هو الأفضل للثورة الجزائرية, تونس تحت الحكم الذاتي بإمكانها أن تصبح قاعدة حيوية للثورة الجزائرية, وارسال آلاف التونسيين للمشاركة في الثورة"[4].

---

[1] ليلى بوجلال، المرجع نفسه.

[2] بين 1952-1956 تواريخ فارقة في مسيرة استقلال تونس 20 مارس 1956- موقع تونس- .citro .

[3] محمد بوطيبي،**الحركة النقابية التونسية**، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 08، ديسمبر 2017. ص45.

[4] نجيب الدكاني،**الصراع اليوسفي البورقيبي وعلاقته بالثورة الجزائرية**، جامعة خميس مليانة، ص355.

موقف بعض رواد الحركة الوطنية: وقف المناضل الوطني ابراهيم طوبال إلى جانب صالح بن يوسف وذلك بعد اجتماع الديوان السياسي للحزب الدستوري يوم 16 أكتوبر 1955 ليتّخذوا قراراً بطرد صالح بن يوسف من الحزب بعد خطابه في جامع الزيتونة يوم 07 اكتوبر 1955، وبعد اغتيال صالح بن يوسف يوم 12 أوت 1961 كان ابراهيم طوبال أوّل الواصلين إلى فرانكفورت بألمانيا، وهو من أعاد جثمانه إلى القاهرة لدفنه.[1]

كما وقف في صف صالح بن يوسف أيضاً الاتحاد العام للفلاحة ويوسف الروسي وشيخ المناضلين حسن التريكي.

أمّا الاتجاه البورقيبي فقد انظمّ إليه الاتحاد العام للصناعة والتجارة والاتحاد العام لطلبة تونس وعلي البهلوان والباهي الأدغم والرشيد إدريس والطيب سليم حين رجوعهم إلى تونس.[2]

المبحث الثالث: الموقف الفرنسي من الخلاف اليوسفي –البورقيبي.

يعالجهذاالمبحثمحاولةالمقيمالعامالفرنسي "مارسالبيرطون"
استغلالالخلافاليوسفيالبورقييلشقصفوفوإضعافالحزبالجديد.

لقدسعتالسلطةالفرنسيةإلىتوسيعشقةالخلافبينأعضاءالحركةالوطنية،وتعبيراًعنفرحتهبسياسةالحزبالدستوريا
لجديدوتأييداًلهقامالمقيمالعاممارسالبيرطونفيبداية شهرأفريل 1934
بزيارةالمنستيروالساحلالتونسي،واستدعىالحبيببورقيبةوجماعتهوأخبرهمأنالإقامةالعامةقدرخصتلهمإصدار
جريدتينبالعربيةوالفرنسيةللتعبيرعننشاطهمونشرمبادئالحزبالجديد.

تحملالجريدةالعربيةاسم "العمل" والجريدةالفرنسية
"العملالحرّ"،وقدتمكّنالحزبالجديدبفضلذلكمننشرأفكارهوآراءه.

---

[1] نجيب الدكاني، المرجع نفسه، ص 355.

[2] خليفة الشاطر وآخرون،**تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال**، ج 3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005، ص ص 173-174.

كماسعىبورطونعنطريقوعودهالخبيثةملوحاًببعضالإصلاحاتالطفيفةإلىإذكاءروحالفتنة،والاختلافاتضناًمنه أنهيستطيعإخمادنشاطالحركةالوطنية،وأنهيشغلبعضالوطنيينبالبعضالآخرلكييُطفئلهيبالمقاومةضدفرنسا، كم الجأبورطونبأنأغربعدداًمنالشبابمنحهموظائففيالإدارةالفرنسية.

لكنسياسةبورطونتغيرتاتجاهالحزبالدستوريالجديدبمجردأنرأىأننفوذالحزبقدازدادداخلالأوساطالشعبية،ويهدد مصالحالمعمرينالفرنسيينوبالتاليقرّرالقضاءعليهوعلىالحركةالوطنية،فألقىالقبضعلىأغلبأعضائهفي 03 سبتمبر 1934[1].

كان صالح بن يوسف المنافس السياسي الوحيد لبورقيبة، وكان يتمتع بشعبية هامة وعلاقات خارجية جيدة مع القاهرة ومع قادة الثورة الجزائرية ومع أوروبا.

جاء صالح بن يوسف إلى تونس داعيا إلى رفض اتفاقية الاستقلال الداخلي حتى تحصل دول المغرب العربي على استقلالها التّام، وتلك النظرية تتماشى مع مبادئ الثورة المصرية، فأصبح صالح بن يوسف زعيما لحركة معارضة الاتفاقية سنة 1955، وتلقى الدعم القوي من جانب قيادات الحزب الدستوري الجديد ذات الاتّجاه القومي المعروف، كما وقف ممثّل الحزب الدستوري الجديد في القاهرة "إبراهيم طوبال" إلى جانب صالح بن يوسف حيث أصبح ممثل الحزب الحرّ الدستوري الجديد في لجنة المغرب العربي بالقاهرة[2].

إنّ "منديس فرانس" أثناه فتحه باب المفاوضات كان يبحث عمن يضمن مصالح فرنسا بتونس، فوجد أن بورقيبة أفضل من صالح بن يوسف، ولذلك فضّل الاتصال بالحبيب بورقيبة وابعاد صالح بن يوسف من مجموعة التفاوض، فقد ورد في مذكرة منديس فرانس التي أعدّها لمستشاريه المفاوضين بتاريخ 18 نوفمبر 1954 مايلي: " يجب علينا توظيف الوضع الذي انجرّ عن حركة

[1] عواد إبراهيم الكيلاني، **الخلافات الفكرية والإيديولوجية في الحزب الدستوري**، مجلة تكريت، العراق، ب د، ص 28.

[2] عز الدين معزة، فرحات عباس والحبيب بورقيبة، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه تاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر، 2009-2010، ص 339.

"الفلّاقة" للضغط على المفاوضين التونسيين، لكن يجب أن لا نتوهم كثيرا، فهؤلاء لا يملكون في الحقيقة أيّة وسيلة لإيقاف هذا الهرج، إنه جلي بأن قسما كبيرا من حركة الفلّاقة خارج عن نطاقهم، إذا نجحت المفاوضات فإنه من المنتظر أن نسبة كبيرة من الفلّاقة ستطلب الأمان، لكن يجب أن لا ننسى أن أقلية منهم ستواصل عملها، في هذه الحال ستطلب الحكومة التونسية عوننا أكثر فأكثر، إن الخلاف بين الوطنيين التونسيين العقلاء الذين يتعاونون معنا وبين التونسيين الغير قابلين للمصالحة يمثّل التوجه الذي كنا دائما نحبذه".

اندلعت الثورة المسلحة في تونس سنة 1952 إثر تأزم القضية التونسية وتسليط سياسة القمع، بدأت بإمكانيات بسيطة معتمدة أسلوب حرب العصابات، وبعضها كان موجها من قبل قادة الحزب الحر الدستوري الجديد والبعض الآخر هبّ بتلقائية، ولقد اشتدّت المقاومة سنة 1953، حيث بدأت تقلق هاجس الإدارة الفرنسية باستمراريتها وتأثيراتها، فقد كانت خشية منديس فرانس بأن تتطور الأحداث لتخلق مشكلة جديدة في شمال إفريقيا، وهذا نفس الشعور الذي أبلغه به مساعده "إدغار فور" وهو يلحّ بالاهتمام بتسوية القضية التونسية، وفي غمرة أحداث 1954 كلّف منديس فرانس يوم 04جويلية 1954 "آلانسافاري" بمباشرة الاتصالات مع بورقيبة للخروج من المأزق الجديد وتبيّن له أنه بالإمكان التعويل على هذا الرجل، وقد توصّلت المباحثات إلى وقف المقاومة وتمكين تونس من الحكم الذاتي مقابل الحفاظ على مصالح فرنسا في تونس، وكانت خطوة مفاجئة للجميع لكنها لم تكن نهاية الحل للقضية التونسية، إذ اندلعت الثورة الجزائرية في هذه الظروف المضطربة، فوجدت فرنسا نفسها أمام خطر حقيقي.[1]

لقد دخلت الثورة الجزائرية في الخط وزادت في تعميق الخلاف بين صالح بن يوسف والحبيب بورقيبة، هذا الخلاف تجلّت مظاهره من خلال التنسيق بين صالح بن يوسف وبعض فصائل الثورة الجزائرية، لقد فرض هذا الوضع على بورقيبة أن يبلور مبكرا استراتيجية لمواجهة تفاعلات القضية

[1] مقلاتي عبدالله،**الثورة الجزائرية وعلاقتها بالمقاومة التونسية**، مجلة المصادر، العدد19، ص 176.

الجزائرية، فلم يقدر بورقيبة على تجاهل مضاعفات هذه الثورة على استقراره خاصة وأن القضية الجزائرية تمس تونس وترتبط بها بصفة خاصة، ذلك أن الثورة لاقت منذ اندلاعها تأييدا شعبيا لم يقتصر على التعاطف العفوي الذي كانت تغذيه مشاعر العداء للاستعمار، وإنما يشمل أيضا القوى السياسية والاجتماعية المؤثرة في الساحة التونسية على غرار الحركة الوطنية والحركة النقابية الممثلة في الاتحاد العام التونسي للشغل.[1]

لقد نجحت فرنسا بفضل الاتفاقيات المبرمة في 1955/07/03 في شقّ صفوف الحزب الحر الدستوري الجديد التونسي، وبذلك تفتت الوحدة الوطنية، ومن ثم إلهاء الوطنيين التونسيين عن مواجهة الاستعمار بتصارعهم فيما بينهم وقد استغلت فرنسا هذه الانقسامات[2].

جناح واصل المفاوضات مع فرنسا ممثلا في الحبيب بورقيبة وجناح آخر واصل الكفاح المسلح للحصول على الاستقلال التّام بالتنسيق خاصة مع الثورة الجزائرية ممثلا في شخص صالح بن يوسف، ليأتي سقوط حكومة منديس فرانس في 06 فيفري 1955 وهذا تحت ضغط "الوسط اليميني" ومساندتهم لموقف المستوطنين الرافضين للحكم الذاتي من خلال ممثليهم في باريس "أنطوان كيلونا" و"غابرييل بيو" ليتولى بعدها "إدغار فور" رئاسة الحكومة الفرنسية في 23 فيفري 1955 حيث صرّح قائلاً: "من الممكن الوصول إلى اتفاق دون الإفراط في التنازل" وقد استطاع هذا الأخير الوصول بالمفاوضات إلى نهايتها، مع التنبيه للضغط الدولي الذي ساهم في الوصول إلى اتفاق بين الطرفين ونقصد بذلك "مؤتمر باندونغ" في أندونيسيا من 18-24أفريل 1955 تحت شعار تضامن آفرو أسيوي، الذي دعا إلى تصفية الاستعمار ودعم ومساندة حركات التحرر مع تطبيق مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها.

---

[1] محمد الطيّب زروق،**النظام البورقيبي والثورة الجزائرية**، مجلة المعارف، العدد 06، ص 194.

[2] يحياوي عبد الوهاب،**انعكاسات الحزب الدستوري التونسي على مقاومة صالح بن يوسف**، مجلة آفاق للعلوم، جامعة الجلفة، العدد 06،2017، ص 64.

انتقل صالح بن يوسف إلى باندونغ في 30 مارس 1955 وكانت ترده معلومات حول سير المفاوضات من حين لآخر عن طريق المنجى سليم، ولما علم بتوقيع الاتفاقيات وهو في أندونيسيا صرّح بما يلي: "إنّ الشّعب العربي في تونس يرفض المعاهدة التي وقّعها بورقيبة وجماعته مع فرنسا،إنّ الشّعب التونسي يرفض تلك الاتفاقيات وهو عازم على احباطها بجميع ما لديه من وسائل..." كما صرّح بعد ذلك بأنها خطوة إلى الوراء، وفي طريق عودته من باندونغ أكدّ على موقفه قائلاً: "إنّ الاتفاقيات نزعت كل قيمة للحكم الذاتي"[1].

العلاقة الفرنسية التونسية:

إنّ الموقف الفرنسي من مستقبل العلاقات الفرنسية التونسية، يرتكز على الفصل بين السيادة الداخلية والسيادة الخارجية، فعلى المستوى الداخلي تحاول فرنسا التحكم في عملية نقل السلطة للتونسيين مع إدراكها لمحدودية تطبيقه على أرض الواقع نظرا للشروط والحدود التي وضعتها أمام نشاط الحكومة التونسية.

أمّا على المستوى الخارجي فهي تطالب بإبقاء رقابتها على هذا المجال إضافة للمجال العسكري أي الدفاع، ثمّ تقترح في مرحلة ثانية أن تتحوّل تلك المجالات إلى مشتركة، فالتمسّك الكبير بتلك المجالات – الخارجي والدفاع – مرتبط بالتخوف الكبير لساسة الجمهورية الفرنسية الرابعة من تطوّر الأوضاع بالجزائر واحتمال فقدانها، ولذلك لم يكونوا مستعدين لنقل كافة مظاهر السيادة التونسية خصوصا مجالي الأمن والدفاع. والبحث في جذور فكرة الإبقاء على الوضع القائم في تونس للحفاظ على الجزائر وشمال إفريقيا كممتلكات فرنسية.

ورد في مراسلات وتعليمات "جوول فيري" الموجهة إلى الإقامة العامة في تونس مذكراً بتعليمات وزير الخارجية (دورين ليهوس 1854 في عهد نابليون الثالث كممثل فرنسا لدى الباب العالي السيد موستي) بأن مصالح فرنسا العليا المرتبطة بامتلاكنا الجزائر لا تسمح لنا بأن نتغاضى عن أي

[1] محمد الطيب زروق: المرجع السابق، ص 194.

تهديد يمس بالوضع القائم في الإيالة، والحفاظ عليه أصبح يمثل مبدأ أساسيا لسياستنا، فهو يدافع عن الماضي والمستقبل الاستعماري من أجل مراقبة البحر المتوسط ومعه التواجد الفرنسي في شمال إفريقيا.[1]

وبالعودة إلى الخلاف اليوسفي –البورقيبي فالقطيعة بين الرجلين حدثت يوم 07 أكتوبر 1955 إثر خطاب شديد اللهجة للأمين العام للحزب صالح بن يوسف من جامع الزيتونة إثر صلاة الجمعة قائلا: "إنّ الاستقلال الذي يضع أمن البلاد وقضائها في أيادي أجنبية، إن هو إلّا استقلال زائف وخدعة استعمارية.[2]

كما وجّه نداءً للشعب التونسي طالبا منه: التصدّي ومحاربة تلك الاتفاقيات والتضامن مع كلٍّ الشعوب العربية والاسلامية التي تكافح وتقاوم الاستعمار ومساندة المقاتلين في كلٍّ من الجزائر والمغرب.

ومن نقاط الخلاف بين الرجلين أسلوب التعامل مع السلطات الفرنسية فمن جهة اختار بورقيبة مهادنة هذه الأخيرة وعدم مجابهتها مستعملا أسلوب خذ وطالب، أو ما أطلق عليه سياسة المراحل، مصرحاً بعد عودته إلى تونس في 01 جوان 1955 بما يلي: "إنّ الاستقلال يبقى الهدف النهائي...وإنّ التطبيق الدقيق للاتفاقيات يتطلب منا إيجاد الصيغ التي تحقّق الشراكة مع فرنسا والتضامن معها، كما صرّح لمبعوث جريدة "لوموند" قبل بدأ المفاوضات: "أنّ مصلحة فرنسا تقتضي التفاوض مع حزب رجاله عصريون، لائكيون كونتهم فرنسا يحيون بقافتها وبالمبادئ التي علمتهم[3].

---

[1] الحبيبالكيلاني،**الصراعاليوسفي–البورقيبيوعلاقتهبالثورةالجزائرية**،مقالجامعةخميسمليانة، صص352-353.

[2] خليفة الشاطر وآخرون،**تونس عبر التاريخ**، ج 3- معهد الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية- تونس- 2005، ص 173.

[3] الحبيب الكيلاني، المرجع نفسه، ص354.

في 01 نوفمبر 1955 دشّن الزعيم صالح بن يوسف المقرّ الجديد للأمانة العامة للحزب الدستوري الجديد. ذلك أنّه لم يقلل قرار التجريد من المسؤولية وطرده من الحزب من عزيمته، فتمسّك بمقررات المؤتمرات السابقة التي عيّنته لهذه المسؤولية، ولن تحلّ هذه الاشكالية إلّا بتدخل السلطات الفرنسية إلى جانب الحبيب بورقيبة والديوان السياسي حيث طالبوا صالح بن يوسف أن يُنشئ حزبا جديداً معارضا إذا كان مصراً على مواصلة نشاطه وأن يعطي لهذا الحزب أيّ اسم يريد وأن يكفّ تماماً عن استعمال اسم الحزب الدستوري الجديد في مختلف نشاطاته، ولم يكن لهذا الانحياز السافر سوى تفسير واحد وهو معاضدة الجماعة التي كانت فرنسا تنوي من وراء انتصارهم المحافظة على مواقعها وامتيازاتها.

ففي حفل التدشين لمقرّ الأمانة العامة، ألقى الزعيم صالح بن يوسف خطابا ضمنه تقريبا نفس ما جاء في خطابه بجامع الزيتونة لكنه تطرّق في إحدى فقراته إلى المسائل الثقافية معتبرا أنّ أشدّ المخاطرات التي تهدد الشعب التونسي من وراء الاتفاقيات هي الهجمة الكبيرة المنتظرة في المجال الثقافي، والخطر لا يكمن فقط في استعمال اللغة الفرنسية كلغة رسمية ثانية بل أنه يتمثّل في تفشي اللائكية والإلحاد وهي المسائل التي ترمي إلى طمس الشعب التونسي.

وأصبح لصالح بن يوسف شبكة ثابتة من الهياكل عبر البلاد تؤطر الدفع الجماهيري باتجاه الاختيارات التي حدّدها في خطبه والتي جُندت الأقلام لتعميمها في جل وسائل المكتوبة وتعبئة الشعب حولها، وظهر للجميع أن أنصار الزعيم صالح بن يوسف يفوقون عدداً أنصار الديوان السياسي، وأنّ الغلبة سوف تؤول إليهم من دون شك إذا حسم الأمر دون تدخل القوى الأجنبية.

كان بورقيبة أوّل من شعر بالخطر فقد لاحظ خلال تجوله في عدّة مناطق أن ميزان القوى أصبح يميل بشكل مفزع إلى الأمانة العامة، كما لاحظ أن صفوف الحزب لم تكن موحدة وخاضعة له

بما فيه الكفاية، ورأى أنه لا مجال لخوض معركة بهذه الدرجة من الخطورة دون غربلة حزبه وتوحيد صفوفه وقد كان مؤتمر صفاقس السانحة لذلك.

مؤتمر صفاقس والتحول الحاسم 15-19 نوفمبر 1955: عندما أُفتتح المؤتمر اقترح عددكبير من المناضلين توجيه دعوة إلى الزعيم صالح بن يوسف لحضور أعماله، وأقرّ بورقيبة هذا الرأي، وكانت مناورة منه لأنّه لا يريد الظهور بمظهر الخوف من الطرف المقابل، لكنّه كان يخشى في أعماق نفسه أن يتحوّل المؤتمر إلى محاكمة لخطّه السياسي، ولكنه كان يعرف الزعيم بن يوسف جيدا وكان متأكداً تماماً بأنه لن يقبل الدعوة، وكان ذلك بالفعل موقف صالح بن يوسف الذي وضع شروطاً صعبة التحقيق لحضور أعمال المؤتمر وأهمها أنّه يقترح تأجيله لأيام حتى يتسنى له دعوة الشعب والجامعة التي أعربت له عن مساندتها، وبالطّبع رفضتِ الجلسة العامة هذه الشروط وتواصلت أعمال المؤتمر وفي لجانه ظهرت كذلك معارضة شديدة للاتفاقيات كان ذلك خاصةً في اللجنة السياسية التي أُنتخب السيد "الطاهر عميرة" مقرِراً لها،ولاحظ السيد عميرةأنّ عددا لا يستهان به من المواطنين ما زالوا يقبعون في سجون الاستعمار الفرنسي، وأكّد أن ذلك لا ينم عن صدق نيّة فرنسا اتجاه الشعب التونسي.

أكّدت اللائحة السياسية أنّ هذا الموقف يعتبر اعتداء على مصالح تونس وأنه في صورة إطلاق سراح المساجين السياسيين التونسيين سوف يطالب الحزب باستقالة حكومة "الطاهر بن عمّار" ويعلن تخليه عن الاتفاقيات لكن هذه اللائحة رفضت في النهاية، وأصبحت الأوضاع متشنجة في المؤتمر وقرر أن تأخير المؤتمر هو الحلُ الأمثل.

لقد بذل بورقيبة جهداً كبيرا لإقناع الحاضرين بضرورة الحسم مؤكداً أن أنصار الزعيم صالح بن يوسف من الذين لم يواجهوا فرنسا في السابق وأعاد التأكيد على الصفة المرحلية والمؤقتة للاتفاقيات، وعندها انحاز المؤتمر إليه وإلى الديوان السياسي ولكن ليس بالإجماع الذي تشير إليه بعض المصادر.

جاءت لوائح المؤتمر تصديقا للتوجهات الاستقلالية التي كان يدافع عنها الزعيم صالح بن يوسف والتي تمثّل تحولا نوعيا لخطّ بورقيبة والديوان السياسي باتجاه النهج العام الذي توجهه صالح بن يوسف وصادقت عليه جماهير الشعب التونسي، فهي محاولة لسحب البساط من تحت أقدام الأمين العام واحتلال مواقعه.

وبذلك يكون المنهج الوطني الجذري قد مثّل عنصر ضغط متواصل على المؤتمر من داخله وخارجه وقد دفعهُ للتخلص من النظرة المرحلية على حساب مصالح الشّعب والوطن، وهناك جانب هام من أعمال المؤتمر يجب أن نشير إليه، فقد حلّت بتونس بمناسبة انعقاد المؤتمر وفودٌ عديدة من الأقطار العربية والاسلامية جاءت للمساهمة في البحث عن حلول للأزمة التونسية، كالوفد العراقي الذي كان يقوده الأستاذ عبد المجيد المحمودين وقد أدلى ببيان موالي لخطّ الديوان السياسي لكنّه أدى زيارة في اليوم الموالي إلى الزعيم صالح بن يوسف وأبلغه تحية حكومته راجيا أن يتوصّل الطرفان إلى حدّ النزاع وإيجاد حلٍ سريع له.

أمّا الوفد المصريُ فكان يتكون من الشيخ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف، وعند عودته إلى مصر أكّد أن الخلاف بين بورقيبة وبن يوسف خلاف في الرؤى فقط، وقد نعت الخطّ الذي يمثّله الأمين العام السابق للحزب الحرّ الدستوري الجديد أنه خطٌ وطنيٌ.

وقد خصّ بورقيبة ضيوف المؤتمر بكلمة ترحيبية في خطابه الافتتاحي ثم أكدّ أنّ الشّعب التونسي قد ناضل تحت قيادة الحزب الدستوري الجديد من أجل الحفاظ على الهوية العربية لتونس، وهذا الموقف يعتبر بدوره أيضاً محاولة لاحتلال مواقع الزعيم صالح بن يوسف.[1]

لقد أظهر بورقيبة من خلال خطابه في مؤتمر صفاقس قدرات فائقة على الإقناع والبراغماتية في التعاطي مع تحولات الراهن المعيش، بما معناه أن صيغة الاقتراح الذي عرضه منديسفرانس في جويلية 1954 بخصوص الاستقلال الداخلي بعد هزيمة "ديان بيان فو" (ماي 1954) وما وافق

[1] منصف الشابي،**صالح بن يوسف (حياة كفاح)**، ص 211.

عليه إدغار فورد مع الحكومة التونسية التفاوضية بشأن الاتفاقيات الفرنسية–التونسية (أفريل–ماي 1955) إبّان مؤتمر باندونغ (أفريل 1955) قد تجاوزه الزمن اعتباراً للاتفاق الذي حصل بين رئيس الحكومة الفرنسية المستقل "أنطوان بيناي" والسلطان المغربي "محمد الخامس" يوم 06 نوفمبر 1955، لفتح مفاوضات بين الطرفين تمكّن المغرب من الحصول على صفة دولة مستقلة مرتبطة بفرنسا ارتباطاً حُراً، أي التصريح بكلمة الاستقلال الساحرة التي لم تتضمنها عمدا الاتفاقيات الفرنسية – التونسية.

وصفوة القول أنّ مؤتمر صفاقس بيّن أن بورقيبة يمتلك كافة مواصفات الزعامة من كاريزما وشغف بالقضية وشعور بالمسؤولية، وبعد النظر الاستشرافي وقدرة فائقة على الإقناع باللسان والقلم وخاصة الشجاعة السياسية التي كانت تعوز الزعيم صالح بن يوسف.

كتب الرشيد إدريس في مذكراته ما يلي: "فلو اتبع الأستاذ صالح بن يوسف ما أسدي له من نصح من أصدقائه وإخوانه في الكفاح وضحى بشيء من العناد والأنانية في سبيل الشعب والمبادئ العليا ولم يتبع الهوى ونصائح من ضلله ويضلله ومن شجّعه ويشجّعه في هذا السبيل الأعوج الذي يسير فيه، ولكنه تعالى واستكبر أن يأخذ النصيحة التي أسديت له مراراً.[1]

قرارات مؤتمر صفاقس 15–19 نوفمبر 1955:

لقد انعقد هذا المؤتمر بمدينة صفاقس معقل أحمد بن صالح، وأصدر الديوان السياسي بلاغاً بحل الأمانة العامة، وتكوين لجان ملاحقة ومطاردة أنصار صالح بن يوسف، حيث استنجد بورقيبة بالقوات الفرنسية التي تلقت الأوامر بالتعامل بقسوة مع المعارضة اليوسفية، كما عبرت الحكومة الفرنسية عن استعدادها لوضع قوات الشرطة تحت إشراف الحكومة التونسية في تصديها للأخطار التي يمثلها أنصار صالح بن يوسف وهو ما تم بالفعل في 08 ديسمبر 1955 حيث قامت سلطة

[1] محمد لطفي الشابي، العربية ليدر، صيغة إلكترونية، 2015/11/03.

الاحتلال بالتنازل عن قوات الأمن "الشرطة" لصالح الحكومة التونسية مع مواصلة دعمها ومساندتها وتوجيهها ميدانيا.

تداعيات مؤتمر صفاقس:

في هذه الفترة الحاسمة من أجل الاستقلال بدأت خطّة بورقيبة في إبعاد وتصفية كل من يمثّل تهديداً لطموحاته بالتعاون مع المخابرات الفرنسية، فمن مجموع أوّل مكتب سياسي للحزب الحر الدستوري الجديد، لم يبق إلّا هو في السلطة وعلى قيد الحياة، وهذا ليس بالصدفة فهؤلاء إمّا أبعدوا أو تمّ اغتيالهم.

وفي 28 جانفي 1956 بدأت الحملة القمعية المفاجئة والواسعة من طرف الحكومة التونسية تساندها قوات فرنسية بتوجيه وقيادة المنجى سليم وزير الداخلية- كان لمدة طويلة نائبا لصالح بن يوسف – ضد مؤيدي هذا الأخير، أمّا هو فتمكّن من الفرار إلى ليبيا بعدما علم بأمر إلقاء القبض عليه الذي أمضاه المنجى سليم.

إنّ مسعى صالح بن يوسف ومجموعات المقاومين الذين بقوا أوفياء لضرورة مواصلة الكفاح المسلح، والالتحام بالثورة الجزائرية والمغربية تحقيقا للاستقلال التّام للدولة، عملت السلطات الاستعمارية على إجهاضه وإفشاله ميدانياً وعسكرياً كما سبقت الإشارة إليه.[1]

الاعتراف بالاستقلال 20 مارس 1956:

اعتبر مؤتمر صفاقس أن الاتفاقيات الفرنسية التونسية التي تقرّ الحكم الذاتي مرحلة هامة في طريق الاستقلال، الذي يمثل غاية الكفاح في الحزب، وطالب بإنجاز هذا المطلب بروح التعاون الحر وفي اتجاه التطور التاريخي، وقد دعّم هذا المطلب اعتراف الحكومة الفرنسية بموجب تمكين المغرب من الاستقلال في دائرة التكافل 07/نوفمبر/1956.

[1] الحبيب الكيلاني، المرجع نفسه، ص 357.

اجتمع المجلس الملي للحزب الحر الدستوري الجديد في 21 جانفي 1956 ودرس الوضع الراهن وأعلن في لائحته الختامية أن الأوضاع السياسية لا تنفك أن تتطوّر بالبلاد التونسية وبالعالم عموما تطورا يسير بتونس نحو الاستقلال الحتمي وطالب باختصار مراحل تحويل المسؤوليات وتوفير الوسائل الضرورية لإنشاء قوة نظامية مسلحة وإدخال تعديلات على الحكم الذاتي تجعلها متناسقة والوضع التونسي.

وتهيأت الظروف للمطالبة بالاعتراف باستقلال تونس، فسافر بورقيبة لهذا الغرض وقابل يوم 03 فيفري 1956 رئيس الحكومة الفرنسية "غي مولي" الكاتب العام للحزب الاشتراكي الذي تولى رئاسة الحكومة الفرنسية يوم 31 جانفي 1956 وتمّ الاتفاق على إرسال وفد للتفاوض في المطالب التونسية، فافتتحت المفاوضات يوم 29 فيفري 1956 وتعثّرت طيلة ثمان عشرة يوماً من المماطلة الفرنسية. وفي 20 مارس 1956 تم التوقيع على الاتفاق الذي تعترف فرنسا بمقتضاه باستقلال تونس. وهذا ما يقتضي ممارسة تونس لمسؤولياتها في ميادين الشؤون الخارجية والأمن والدفاع وتشكيل وطن تونسي.[1]

[1] خليفة الشاطر وآخرون،**تونس عبر التاريخ**، ج 3، معهد الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية- تونس- 2005.

المبحث الأول: صالح بن يوسف والثورة الجزائرية.

تمهيد: يتناول هذا المبحث علاقة صالح بن يوسف بقادة الثورة الجزائرية وتبنيه للكفاح المسلح مع الثورة الجزائرية.

لقد أصبحت القاهرة مع تأسيس جامعة الدول العربية سنة 1945 مقراً لزعماء ومناضلي التنظيمات الوطنية المغاربية، حيث احتضن مكتب الحزب الحر الدستوري التونسي أشغال مؤتمر المغرب العربي 15 فيفري 1947 وأُسندت رئاسة المكتب الشرفية للسيد عبد الرحمن عزّام الأمين العام لجامعة الدول العربية.

وحسب شهادة حسين التريكي أن فكرة عقد المؤتمر في البداية اختمرت في ذهن بعض القادة التونسيين في اجتماع ضمّ الحبيب ثامر، الطيب سليم، رشيد ادريس، حسن التريكي، سنة 1946 في اجتماع مع الأمين العام للجامعة العربية من أجل جلب الدعم للقضية التونسية الذي أقنع القيادات بضرورة مغربة الفكرة لضمان نجاحها، فتبلورت فكرةً لجمع الإخوان ممثلي الجزائر والمغرب وتونس.

لقد حضر هذا المؤتمر شخصيات بارزة على غرار الرشيد إدريس، يوسف الرويسي، الحبيب ثامر، الطيب سليم وغيرهم. أمّا بورقيبة فلم يحضر المؤتمر لأنه كان حينئذ في جنيف في طريق عودته إلى القاهرة بعد زيارة للولايات المتحدة الأمريكية.

وقد خرج المؤتمر بعدة توصيات أهمها تنسيق العمل المسلح المشترك[1]، وبعد ذلك تناول المؤتمر موضوع المغرب العربي والجامعة العربية وطلب من هذه الأخيرة إعلان بطلان معاهدة الحماية المفروضة على تونس، ومراكش وعدم الاعتراف بأي حق لفرنسا في الجزائر ورفض الانضمام

[1] د. قلاتي عبد الله:**الثورة الجزائرية وعلاقتها بالمقاومة التونسية**، مجلة المصادر، العدد 19،ب س، ص ص 174-178.

للاتحاد الفرنسي في أي شكل من أشكاله، والاتفاق على غاية واحدة وهي الاستقلال التّام والجلاء، وعرض القضية المغاربية على المحافل الدولية[1].

لم يكن ارتباط القضيتين الجزائرية والتونسية نابعا من شعور الوحدة والتضامن المنبعث من مبادئ لجنة ومكتب تحرير المغرب العربي فحسب، فقد أصبح مؤكدا أن القضية التونسية كانت في أمس الحاجة إلى تحرك الجزائريين، مثلما كانت الثورة الجزائرية بحاجة إلى دعم التونسيين واستمرارهم في المعركة.

إذ اندلعت الثورة في تونس منذ عام 1952 اشتدّت وبدأت تحقق مكاسب هامة استغلها قادة الحزب الدستوري الحر في الدعاية لقضيتهم والحصول على الاستقلال وذلك دون إغفال ضغط الثورة المغربية في فرض التفاوض مع فرنسا.

إلّا أن التسوية التي قبلها بورقيبة مثّلت ضربة لمبادئ التنسيق المشترك، والاتفاقيات المغاربية التي وقّع عليها بورقيبة نفسه، التي تدعو إلى عدم قبول الحلول الجزئية والتمسك بالحل الشمولي لكافة أقطار المغرب العربي، فكانت خطوة مفاجئة للجميع، لكنها لم تكن الحل النهائي للمشكلة التونسية، إذ اندلعت الثورة الجزائرية في 01 نوفمبر 1954 في هذه الظروف المضطربة فوجدت فرنسا نفسها أمام خطر حقيقي.

لقد كان على فرنسا أن تمنع التحام الثوار التونسيين بالثوار الجزائريين كخطوة أولى وذلك قبل مباشرة المفاوضات الحقيقية لمشروع الحكم الذاتي، وأن تختار بين رهاناتها، فإمّا التعويل على بورقيبة أو على صالح بن يوسف في المفاوضات وذلك من أجل حماية أكبر قدر ممكن من المصالح الفرنسية فاحتارت بورقيبة لحماية المصالح الفرنسية.

[1] جلاوي السعيد: **تقاطعات الاستراتيجية في إطار النضال المغاربي المشترك**، القاهرة، 1947-1949،جامعة محند والحاج بويرة، ص 238.

لقد أيّد صالح بن يوسف الثورة الجزائرية عن طريق النداءات والخطابات التي بارك فيها الثورة الجزائرية، وأكدّ على ضرورة توحيد النضال العسكري والثوري المغاربي ضد الاحتلال مطبقا لتوصيات وقرارات مكتب المغرب العربي، إذ كان قادة الثورة في شرق البلاد وغربها على اتصال دائم بإخوانهم التونسيين للاستفادة من التسليح والتموين والتمركز.

ففي الشرق ربط مصطفى بن بولعيد وباجي مختار صلات وطيدة مع رجال المقاومة التونسية وجسّد الكثير منهم مبادئ الكفاح المشترك عن طريق التضامن والتعاون ما بين المقاومة العسكرية التونسية والجزائرية في صفوف جيش موحد وكانوا دعامة قوية للثورة الجزائرية.[1]

ومن المشاركين في الثورة التونسية نذكر منهم على سبيل المثال المجاهد لزهر شريط الذي لجأ بعد استسلام التونسيين إلى جبال النمامشة في الشرق الجزائري، وصار يدعوا الشباب إلى الثورة على الاستعمار.

ولما وقع تسليم السلاح في تونس لم يسلم الجزائريون سلاحهم ورجعوا إلى القطر الجزائري في جانفي1954[2]، لكون تونس كانت من المواقع الأنسب لتمركز الجزائريين المقاومين للسياسة السلطوية الفرنسية خلال القرن التاسع عشر إلى غاية القرن العشرين، وهذا الوضع المميز أثّر على تونس مباشرة ونشر صدى الثورة التحريرية في جميع ربوع تونس، وتجاوب معها الشعب التونسي بما فيهم من المقيمين الجزائريين بتونس خاصة طلبة العلم في جامع الزيتونة.

وهناك عملت الصحافة التونسية على نشر خبر الثورة لتزيد المهاجرين قوة وصلابة في دعم ثورتهم، ومن جهة أخرى إشعار التونسيين بالمهمة الصعبة التي تنتظرهم في دعم إخوانهم الجزائريين والوقوف معهم في ضرائهم، فمجلة الفكر التونسية كانت من أهم المجلات الإعلامية التي خدمت الثورة

[1] د. جمعة بن زروال،**الدعم السياسي والعسكري المغاربي للثورة الجزائرية من خلال تقارير وتوصيات مكتب المغرب العربي(1954-1956)**، مقال، جامعة باتنة، ص 126.

[2] يوسف مناصرية،**دراسات وأبحاث حول الثورة الجزائرية (1954-1962)**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2014، ص 100.

الجزائرية واحتضنتها منذ اندلاعها، وتوجه سهامها اللاذعة إلى الاستعمار الفرنسي وتندد بجرائمه وكانت أيضا تعمل على تعريف العالم بالقضية العادلة للشعب الجزائري.[1]

وبالفعل اشتدت المقاومة التونسية منذ 1955 حيث تشكلت خلايا المقاومة العامة في "القلعة الكبرى" و"زمردين" و"المقنين" و"سوسة" وحتى المنستير وكل الجنوب الشرقي الذي يساند صالح بن يوسف فيما أطلق عليه اسم الثورة الثانية، والتي تواصل نشاطها لما بعد الاستقلال في إطار دعم هؤلاء المقاومين للثورة الجزائرية والانخراط في صفوفها، فقد جاء في الصفحة الأولى لجريدة الجزائر الجمهورية وبالبند العريض عن مواجهة عنيفة على الحدود الجزائرية التونسية في "جبال سيدي أحمد" و"العربة" بين مجموعة من الثوار من بينهم مجموعة " الطاهر لسود" دخلت في معركة مع فرقة من الجيش الفرنسي أسفرت عن سقوط ضحايا من الجانبين.

ورغم تشكيك الكثير من السياسيين والمؤرخين في جدوى هذه الثورة الثانية فإليها يعود الفضل في إجبار السلطات الفرنسية على قبول مطلب الاستقلال التّام، بعدما استعملها بورقيبة كورقة ضغط على فرنسا أثناء المفاوضات بين الطرفين. والتي تميزت بتباعد وجهات النظر بين الجانبين، ووجود عراقيل أثّرت على سيرها منها قضية استمرار المقاومة المسلّحة في مقارعتها للقوات الاستعمارية، واستمرار التحاق المتطوعين بها من التونسيين خصوصا المنجذبين لأطروحات صالح بن يوسف مع انقسام مناضلي الحزب الدستوري الجديد بين مؤيد ومعارض للكفاح المسلح حتى نهاية المفاوضات حيث انتقل هذا الخلاف إلى الشارع وإلى أعضاء الوفد الخارجي.

أمّا فيما يخص موقف بورقيبة من الثورة الجزائرية فقد صرّح قائلاً إنّ الحكم الذاتي لتونس لن يدوم، فهذا الوضع سيمكن البلد وهو تحت قيادة حزب متّحد من الحصول على استقلاله التّام وسيادته

[1] مريم الصغير،**مواقف الدول العربية من القضية الجزائرية(1954-1962)**، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2012، ص 131.

المعترف بها على المستوى الدولي، وسيوف يكون أكثر فعالية لتحرير الجزائر، بدل التجنيد إلى جانبها في مواجهة الاحتلال الفرنسي.

وهذا الموقف نفسه الذي عبّر عنه أحمد بن صالح الأمين العام للاتحاد العام التونسي للشغل، الذي سعى إلى التوسط بين الرجلين مؤكدا أنه إضافة للخلاف حول اتفاقيات الحكم الذاتي بين الرجلين فهناك خلاف حول الموقف من الثورة الجزائرية، فقبول الحكم الذاتي بالنسبة لصالح بن يوسف يعني خيانة الثورة الجزائرية.

وحول الروابط والعلاقات بين الثورة الجزائرية وتطوّر الأوضاع في كل من تونس والمغرب نقل الصحفي الفرنسي "بول باطا" في حواره مع الرئيس الراحل هواري بومدين أكدّ فيه هذا الأخير بأنّ جبهة التحرير الوطني أمضّت على اتفاق سريٍّ بداية 1955 في إطار ميثاق القاهرة، مع كل من علال الفاسي وصالح بن يوسف والذي نصّ على تعهد كل من المغرب وتونس في الدخول في الكفاح المسلح إلى جانب الثورة الجزائرية ضد فرنسا، لكن هذا الاتفاق لم يطبق فالزعيم المغربي وجد معارضة في حزب الاستقلال المغربي، امّا صالح بن يوسف فوقف في وجهه الحبيب بورقيبة.[1]

وقف الشعب التونسي والمغربي مع الجزائر في خندق واحد خلال المواجهة ضدّ الاحتلال الفرنسي أثناء الثورة الجزائرية التحريرية، وقدّما التسهيلات فيما يتعلق بمرور الأسلحة والذخيرة أو تنقل الجرحى والمصابين من المجاهدين عبر الحدود بحثا عن العلاج أو التماسا للراحة أو التحاقا بمراكز تكوين أو إيواء اللاجئين الجزائريين، فقد أصبحت الأراضي التونسية والمراكشية خاصة الأشرطة الحدودية الامتدادات الطبيعية التي وجدت فيها الثورة منذ انطلاقتها السند العفوي والمرتكز الثابت والملتجأ الآمن، وكانت قواعد خلفية حقيقية متقدمة وبذلك نقول – دون نكران للدّعم

[1] دكاني نجيب،**خلفيات موقف صالح بن يوسف والحبيب بورقيبة من الثورة الجزائرية**، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، ب س، ص ص 147-155.

والمساندة- أنّ القضية الجزائرية في تونس والمغرب كانت حاضرة بحكم التاريخ والجغرافيا وبحكم الفكر الوحدوي المغاربي في الذاكرة الجماعية للمنطقة.

وقد نصّ محرّرو بيان أول نوفمبر 1954 على إقامة الدولة الجزائرية الديموقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الاسلامية، وتحقيق وحدة شمال إفريقيا في الإطار العربي الاسلامي، أي الدولة الجزائرية في إطار المبادئ الثلاث: المغرب العربي والعالم العربي والعالم الاسلامي.

مرّ تعامل تونس مع الثورة الجزائرية بمرحلتين: المرحلة الأولى ما بين 1954-1956 والمرحلة الثانية ما بين 1956-1962.

فالمرحلة الأولى شهدت شبه التحام بين المقاومة في تونس والثورة الجزائرية، نتيجة التنسيق الحاصل بين الداعين إلى تحرير المغرب العربي ووحدته.

أمّا في المرحلة الثانية فقد بقي الدعم قائما من طرف تونس للثورة الجزائرية، ولكن في إطار تكريس الفكرة القطرية في كل المنطقة نتيجة انتصار دعاة القطرية التي كانت تخدم مصالح المحتل.[1]

بدأت الاضطرابات في تونس إثر قمع الوطنيين التونسيين بعد القطيعة بين حكومة "شنيق" والسلطات الفرنسية 1951، إذ قامت فرنسا باعتقال عشرات الآلاف من التونسيين والزّج بهم في السجون والمحتشدات مثل محتشد "رمادة" و"جلال" في بن قردان، إضافة للثكنات ومقرّات الجندرمة والسجون المدنية والعسكرية، هذا إلى جانب استعمال العنف والتعذيب في حق المواطنين والمحاكمات الجائرة فما بين جانفي 1952 وماي 1952 حوكم حوالي 2600 تونسي، صدرت ضدّهم أحكام قاسية.

وفي خضّم هذا الوضع المتأزم بتونس شرع فريق من الوطنيين بعضهم من المناضلين في صفوف الاتّحاد العام التونسي للشغل وبعضهم من صفوف الحزب الدستوري التونسي وآخرون من عامة

[1] محمد بلقاسم: **وحدة المغرب العربي فكرة وواقعاً (1954-1957)**، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 2003، ص180.

الشعب كانوا كلّهم يؤمنون بفكرة الكفاح المسلح، فكونوا نواة حركة سرّية للكفاح المسلح فجمعوا السلاح وهيئوا الرجال المدربين على حمل السلاح وكان من هؤلاء من حارب في فلسطين. ومن الذين كانوا أوّل من بادر إلى حمل السلاح والالتحاق بالجبال وتكوين جيش التحرير التونسي "الطاهر الأسود" و"بلقاسم البازمي" و"سعد بعر" و"علي بولشنب المرزوقي" و"وأحمد الأزرق" وغيرهم.

ومع اشتداد المقاومة واقتراب موعد انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة في شهر ديسمبر 1952 قامت اليد الحمراء باغتيال النقابي فرحات حشّاد يوم 05 ديسمبر من نفس السنة، قبل سفره إلى نيويورك لعرض القضية التونسية على جمعية الأمم المتحدة فكان لاغتياله الأثر العميق في نفوس أنصاره ورفاقه من الوطنيين الذي صعدوا إلى الجبال وحملوا السلاح.

وقد ازدادت المقاومة خلال سنة 1953 ولما بلغت أوجها في تونس سنة 1954 شكّلت فرنسا وزارة محمد مزان أحد أعضاء حكومة شنيق وأوكلت إليه إصلاحات 04 مارس 1954 والتي منها إطلاق سراح المساجين وإلغاء المحتشدات، وفي هذا الإطار لعب محمد المحمودي مندوب الحزب الدستوري الجديد دوراً باتصالاته المتكررة بكل من "إدغار فورد" و"منديس فرانس" و"فرانسوا ميتيران" واطلاعهم على الحالة الصحية المتدهورة لرئيس الحزب الحبيب بورقيبة – الموجود في المنفى وقتئذ – وبواسطة المحمودي اتّضحت سياسة بورقيبة اتجاه فرنسا المتمثلة في إمكانية التعاون مع فرنسا لتصفية الجانب الثوري الوطني المتطرف المؤمن بوحدة الكفاح والتحرر ووحدة المغرب العربي.[1]

تكامل ووحدة كفاح المغرب العربي: اكتملت الوحدة النضالية وحركة التحرير في المغرب العربي خلال سنة 1954، فقد انطلقت المقاومة في المغرب متزامنة مع المقاومة في تونس واشتعلت الثورة الجزائرية في نوفمبر 1954 فاستبشر لها أحرار المغرب العربي خيرا، في وقت كان منديس فرانس

[1] محمد بلقاسم: المرجع السابق، ص185.

يتفاوض في جنيف لإنهاء الحرب في الهند الصينية بعد كارثة ديان بيان فو على الجيش الاستعماري الفرنسي.

وهو في بداية توليه رئاسة الوزراء الفرنسية فأراد أن يخرج بلده من المأزق فأمر بنقل بورقيبة من "منقاد بقروا" إلى قصر لافارتي بالقرب من باريس في 16 جويلية 1954 وتقابل معه، وبعدها ذهب منديس فرانس إلى تونس وأعلن في خطاب رسمي أمام الباي بقرطاج بضرورة استقلال تونس الداخلي فاعتبر الدستوريون هذا التصريح نقطة تحول في السياسة الفرنسية، وشُكلت حكومة تفاوضية برئاسة الطاهر بن عمّار في 07 أوت 1954 وبدأت المفاوضات التونسية- الفرنسية في 04 سبتمبر 1954 وأثناء المفاوضات وبالتحديد في 03 جويلية 1955.

طلبت الحكومة الفرنسية من بورقيبة ان يوجّه تعليماته إلى الثوار بتسليم أسلحتهم إلى السلطات الفرنسية فأرسل بورقيبة مندوبين بهذا الأمر إلى المقاومين وفعلا اقتنع جزء كبير من الثوار بتسليم السلاح والعودة إلى الحياة الطبيعية.

عاد بورقيبة إلى تونس بعد توقيع اتفاقيات 03 جويلية 1955 بين الحكومة التونسية وحكومة إدغار فور بعد سقوط حكومة منديس فرانس وكان وقتها صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الحر الدستوري الجديد على رأس وفد تونسي بمؤتمر باندونغ 1955، ولما بلغه أمر توقيع اتفاقيات أعلن في تصريح له أن الشعب العربي في تونس يرفض المعاهدة التي وقّعها بورقيبة مع فرنسا.

إنّ الاتفاقية تنصّ على أن فرنسا لها الحق وحدها في التصّرف في مصيرنا الخارجي والدفاعي، وأن الدولة التونسية تلتزم بأن تسخّر لفرنسا البلاد وأهلها وثروتها إذا ما احتاجت فرنسا لذلك بموجب اتفاقياتها...[1].

لقد عارض الاتفاقيات كذلك الحزب الدستوري القديم ولجنة صوت الطالب التونسي وقيادة الاتحاد العام للفلاحة التونسية ودوائر جامع الزيتونة وخاصة جانب مهم من الحزب الدستوري

[1] محمد بلقاسم: المرجع السابق، ص187.

الجديد، وقد تزعّم هذا الصف المعارض صالح بن يوسف الذي عاد إلى تونس في 13 سبتمبر وشنّ حملة ضد اتفاقية 03 جويلية 1955 معتبرا إياها خطوة إلى الوراء لأنها اعترفت للاستعمار بما لم تعترف به معاهدة باردو 1881، كما أنها خيانة لما اتفق عليه الوطنيون المغاربة من ضرورة المقاومة حتى تحرير المغرب العربي كاملاً تحت راية العروبة والاسلام.

لقد كان الصراع حول الانتماء الجيوسياسي المستقبلي، إذ أن موقف صالح بن يوسف هو تونس جزء من المغرب العربي ومن الأمة العربية الاسلامية يقابله موقف بورقيبة وهو التقرب نحو الغرب، خاصة الارتباط والتكامل مع فرنسا. فمستقبل تونس سيكون في العالم الحر في نظره.

ظهر بذلك في تونس تيّاران حول مفهوم الاستقلال، أحدهما يمثّل الاتّجاه القومي المطالب بالاستقلال التّام لتونس ووحدة الكفاح في المغرب العربي ويمثله صالح بن يوسف وأنضمّ إليه الثوار الذين رفضوا تسليم أسلحتهم.

أمّا الآخر فهو الذي قبل بالمفاوضات واتفاقيات 03 جويلية 1955 ويمثله بورقيبة وأنصاره والمتخليين عن السلاح.[1]

من جيش التحرير الوطني إلى المغاربي:لقد تكوّن بتونس جيش التحرير الوطني بقيادة الطاهر الأسود الذي انظمّ إلى صالح بن يوسف في صراعه مع بورقيبة، وجاء ذلك مع ظهور معطيات جديدة على الساحة العربية منها ثورة 23 جويلية 1952 بمصر وتبنيها لقضية تحرير المغرب العربي ووحدته، ومنها اندلاع الثورة الجزائرية إضافة إلى اتجاه بن يوسف المنادي بالاستقلال التّام وتوحيد الكفاح المسلّح مع الثورة الجزائرية وجيش التحرير المغربي "المراكشي"[2].

في مقابل تصريحات بورقيبة والتي منها: "...إن ما يربطنا بالعرب ليس إلّا من قبيل الذكريات التاريخية، وإن من مصلحة تونس أن ترتبط بالغرب وبفرنسا خاصة وإن مرسيليا أقرب إلينا من

[1] نفسه، ص188.

[2] محمد بلقاسم: المرجع السابق، ص 188.

بغداد أو دمشق أو القاهرة..." وقال أيضا: "إنّ اجتياز البحر الأبيض لأسهل من اجتياز الصحراء الليبية..."

لقد الطاهر الأسود قائد جيش التحرير بياناً للشعب العربي التونسي في شهر فيفري 1956 قال فيه: "...إننا أحدثنا على بركة الله جيشاً تحريرياً وطنياً تونسياً، وقد قررنا ضمّ جيشنا المبارك إلى جيوش إخواننا الجزائريين والمغاربة..."[1].

وكان هذا البيان كما يبدوا يلمّح إلى استمرار الكفاح في تونس الذي توفرت شروطه باندلاع الثورة الجزائرية والمقاومة المراكشية وشعاره لا مفاوضات مع الاستعمار إلّا بعد جلاء آخر جندي فرنسي من تراب المغرب العربي وهو ما نصّت عليه مواثيق الحركة الوطنية المغاربية وبخاصة مكتب المغرب ولجنة تحرير المغرب العربي، وجاء البيان نتيجة ارتياح الطاهر الأسود للإمكانيات اللازمة التي كانت ستوفرها له مصر في حالة إحياء المقاومة في تونس من جديد بالتنسيق مع رجال الثورة في الجزائر، وهذا بعد الاجتماع الذي تمّ بينه وبين عبد العزيز شوشان من جهة وفتحي الديب واسماعيل صادق من جهة أخرى بمزرعة شحن الأسلحة بالقرب من طرابلس في 1955/11/24.

كوّن الطاهر الأسود عدّة فرق لجيش التحرير الوطني التونسي ونظّم لها قيادات بكامل التراب التونسي وعلى مستوى الحدود التونسية الجزائرية وقبل أن يغادر بن يوسف تونس متوجها إلى طرابلس كان قد عقد اجتماعاً في بيته في جانفي 1956 لقيادات جيش التحرير الذي أريد أن يكون جيش تحرير المغرب العربي كلّه، وقد حضر هذا الاجتماع من الجانب التونسي بن يوسف وعلي الزليطي والطاهر الأسود والطّيب الزلاق، ومن الجزائر عباس لغرور والسعيد عبد الحي ومن المغرب (مراكش) مجموعة من قيادة جيش التحرير بقيادة محمد البصري وبلّغ بن يوسف الحاضرين رغبة عبد الناصر في اللقاء بهم للتشاور معهم عن كيفية امدادهم بالسلاح لتحرير المغرب العربي.

[1] نفسه، ص 188.

وفي إطار التنسيق والإعداد مع المقاومة في الجزائر والمغرب سافر الطاهر الأسود براً وفي رحلة شاقة إلى القاهرة مع مطلع سنة 1956. والتقى بفتحي الديب وعبد الناصر وأحمد بن بلّة وعباس لغرور والمهدي بن عبود. لوضع خطّة النضال الوطني المسلّح الموحد، وتفيد المصادر وشهادات المعاصرين لتلك الأحداث أنّ اتصالات فعليّة تمّت بين هذه الأطراف لبعث قيادة موحدة لحركات التحرير في إطار ما سمي "جيش تحرير المغرب العربي" الذي أصدر أوّل بيان في شهر أكتوبر 1955 ممضى من حركة المقاومة المغربية وجبهة التحرير الوطني لكن دون إمضاء الطرف التونسي وكان التحاق التونسيين لاحقا في بداية 1956 بعد اجتماع تمّ بين بن يوسف والطاهر الأسود من تونس والسعيد عبد الحي وعباس لغرور من جيش التحرير الوطني ومحمد البصري عن جيش التحرير المغربي والمهدي عبو كما أشرنا سالفاً[1].

وفي خضّم أحداث تونس وفترة حصولها على الاستقلال الذاتي ثمّ الاستقلال التّام في إطار التكافل مع فرنسا، تكوّنت وحدات عسكرية مشتركة جزائرية تونسية لمحاربة الاستعمار وأعوانه في تونس والجزائر، اتّخذت عدّة إجراءات للتنسيق والتنظيم وامداد المقاومة بالسلاح والذخيرة وتمكين المعارضة التونسية من تحرير البلاد. حيث التقى أحمد بن بلّة وبن يوسف عدّة مرّات في القاهرة وطرابلس وتكوّنت لجنة تنسيق بينهما نهاية سنة 1955 وكان عبد الناصر وقتئذ المدعم الأساسي لحركات التحرير في المغرب العربي عن طريق ممثله فتحي الديب، وقد نسّق الديب في اجتماع له مع الطاهر الأسود القائد العام لجيش التحرير التونسي في طرابلس بتاريخ 24 نوفمبر 1955.

هذا البعد الاستراتيجي لم يكن خفيا عن فرنسا وجيشها لهذا كان القرار الفرنسي في تحويل الدولة الناشئة إلى دولة قادرة يعني دولة مستقلة تخدم الاستراتيجية الفرنسية أولا في المحافظة على مصالحها في تونس وثانيا بضرب خطر التلاحم الثوري في المغرب العربي وثالثا تحجيم المعارضة اليوسفية وابطال خطابها التحرري في العالم العربي الذي كان يتلقى الدعم السياسي والمادي ممن اعتبرته

[1] محمد بلقاسم: المرجع السابق، ص 194.

فرنسا آنذاك عدواً رئيسياً لها وهو رأس نظام الثورة في مصر الرئيس عبد الناصر، حتى أنّ مقاومي الجزائر كانت تصفهم الدعاية الفرنسية آنذاك بمرتزقة القاهرة[1].

المبحث الثاني: صالح بن يوسف والناصرية

لقد شكل تأسيس جامعة الدول العربية في 22 مارس 1945 الحدث الأكثر تعبيرا عن درجة النضج الفكري ومرحلة هامة في تطور الحركة القومية العربية[2]، ومن العوامل التي أسهمت إسهاماً فعلياً في تعميق البعد القومي للحركة اليوسفية، من حيزها القطري الضيّق إلى بعدها العربي، اندلاع ثورة 23 يوليو 1952 في مصر بزعامة جمال عبد الناصر التي شكلت نقطة انعطاف كبيرة في صعود الحركة القومية العربية إلى واجهة الأحداث[3].

ورفع عبد الناصر شعار "أخي قد ولى عهد الاستبداد" الذي تردّد صداه في كل الوطن العربي، من خلال مقاومة الهيمنة الإمبريالية، عبر مقاومة الأحلاف العسكرية والدعوى إلى الحياد الإيجابي، وبذلك ظهرت فكرة الناصرية التي تتمحور حول تخليص مصر من الهيمنة الاستعمارية وتوحيد التيّارات الفكرية في إطار فكري سياسي واحد، ليذيب مصر في حياة الأمة، ويجمع الأمة العربية حول مصر، وهي كتسمية وتعبير ومصطلح نُسبت إلى اسم عبد الناصر وإنجازاته القومية والوطنية، على الرغم من أن هذا المصطلح لم يلق قبولا وارتياحاً من جمال عبد الناصر في حياته، لرفضه اعتبار ثورته تعبيراً عن الثورة العربية الشاملة، لذلك لم تستخدم الأجهزة الإعلامية العربية في عهده هذا المصطلح قط. أمّا في مصر فقد شاع المصطلح بعد وفاة جمال عبد الناصر، ومازال ذائعاً كتيّار

[1] محمد بلقاسم: المرجع السابق، ص 197.

[2] بوثينة عبد الرحمان التكريتي: **جمال عبد الناصر نشأة وتطور الفكر الناصري**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 98.

[3] أحمد عطية: **القاموس السياسي**، ط3، دار النهضة العربية، القاهرة، ص 400.

سياسي، وكمدرسية فكرية وكحزب، فعلى الصعيد القومي أيضاً أيقظت الناصرية روح الوطنية والانتماء القومي في الوطن العربي.[1]

إن القوميين العرب يعتبرون أن صالح بن يوسف هو ناصري التوجهات خاصة في البعد الاشتراكي وهي قضية العدالة الاجتماعية. فهل تأثر بن يوسف بعبد الناصر؟ أم تأثر عبد الناصر ببن يوسف؟ ما أرجحه هو أن صالح بن يوسف كان قومياً وعروبياً قبل عبد الناصر الذي لم يكن في بدايته ناصرياً لأن الناصرية تشكلت فيما بعد ولم تظهر كفكر وإيديولوجيا إلّا بعد الخمسينات من القرن الماضي وهذا ما يُرجح أن صالح بن يوسف لم يتأثر في فكره بعبد الناصر حيث كانت له تجربة نضالية وسياسية قبل جمال عبد الناصر وتمتع باستقلالية فكرية ممّا جعله هو الذي أثّر في جمال عبد الناصر حينما التقى به في محنته مع بورقيبة ولكن في المقابل فإن صالح بن يوسف قد تأثر بالجو الشرقي وهذا راجع في جانب كبير منه إلى تكوينه الذاتي، فبورقيبة اتجه في البداية نحو الشرق أملا في الشرق آنذاك ولكن حال الشرق في ذلك التاريخ كان حال نكبة وهزيمة صادمة.

إن الشرق في الخمسينات كان مُختلفاً، فالمد القومي العروبي كان على أشده والدعوة إلى القومية والوحدة العربية كانت طاغية وصالح بن يوسف قد تأثّر بعروبة الشرق لا محالة ولكنه لم يتأثر بعروبة عبد الناصر.

وفي قضية العروبة هذه علينا أن نستحضر أن بن يوسف ينحدر من عائلة تاجرة وتاريخياً كانت لمنطقة جربة علاقات تجارية مكثفة مع الشرق، فالتوجه نحو الشرق كان ظاهراً عنده منذ الشباب رغم ما اشتهر عنه أنه قال في شبابه: "إن سبب مصائبنا هو توجهنا نحو الشرق".

ما يُميّز عروبة صالح بن يوسف هي الصفة التونسية والقومية في فكره، وهي قومية لا تُعادي الدين ولا تفترق عن الإسلام، فصالح بن يوسف كانت القومية عنده تُساوي الإسلام وهي ميزة الشعوب

[1] محمد مالكي: **الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1994، ص 401.

المغاربية التي لا تُفرق بين الإسلام والعروبة، على عكس عروبة عبد الناصر. ولو قُدِّر لبن يوسف أن يكتب عروبية لكانت في هذا الإطار من التمازج بين الإسلام والعروبة.[1]

لقد تلقى صالح بن يوسف الدعم من عبد الناصر، لقد أوردت جريدة البلاغ أن جمال عبد الناصر صرح إلى الصحافة المصرية مؤكدا إنضمامه الوجداني إلى مساعي صالح بن يوسف في تحرير البلاد التونسية من بوتقة الاستعمار الفرنسي بصفة كاملة لا قيد فيها ولا شرط على قاعدة الاحتفاظ بسيادة تونس كاملة موحدة[2].

لقد وجد بورقيبة نفسه في مواجهة دعوة معلنة لمغربة المواجهة ضد القوة الاستعمارية الفرنسية، تدعمها في ذلك حركة نشيطة داخلية متمثلة في الحركة اليوسفية، إضافة إلى قوة خارجية مؤثرة بكاريزمية زعيمها وجاذبية خطابها القومي الوحدوي وسياستها المساندة لقوى التحرر في الإقليم المغاربي والمنطقة العربية عموماً، إنّها الثورة الناصرية في مصر، لقد كانت هذه الدعوة دون شك تهديداً جديّاً لبورقيبة والمشروع القطري الذي بدأ في تركيز دعائمه، وخاصة بعد تعثر المفاوضات التونسية الفرنسية بشأن عملية نقل السلطة إلى دولة الاستقلال وخاصة في مجال الدفاع.

وقد حدّد بورقيبة موقفه من هذا الخطاب الناصري ومن سياسة مصر العربية بوضوح، إذ أكدّ أن الذي لا يجب ألّا يخفى عن الجميع وعلى هذا الشعب خاصة، أن العروبة شيءٌ ومصر شيءٌ آخر وأن الشرّ الكامن في نزعة الهيمنة والتسلط التي يتصف بها النظام القائم في مصر لا يقل عن الشر الكامن في النزعة الاستعمارية وفي كتائب جيش الاستعمار، لأن حبّ الاستعلاء والغرور تدفع بصاحبها إلى أفظع ما يدفع إليه الاستعمار مع التستر بستائر الأخوة والوشائج.

---

[1] www.assarih.com – يوم 04 مارس 2019، مقال د. محمد ضيف الله، له قوله في الخلاف اليوسفي – البورقيبي.

[2] محمد ضيف الله: **صالح بن يوسف "خطب ووثائق أخرى"**، جامعة المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، ب س، ص 245.

رغم هذا فقد كان الخطاب البورقيبي نفسه قابلاً بعدة شعارات عروبية وقومية، لكن الخطر الناصري ظلّ قائماً نتيجة استمرار الدعم المصري للحركة اليوسفية، بعد أن أصبحت القاهرة تحتضن أنشطة صالح بن يوسف انطلاقاً من مقعد تونس بمكتب المغرب العربي بالقاهرة منذ لجوء بن يوسف للقاهرة في مطلع 1957، وكذلك نتيجة توثُّق العلاقات بين النظام المصري وجبهة التحرير الوطني.

وقد أثار تنامي الدور المصري في المنطقة مخاوف بورقيبة فقد كانت مصر توفر كل الإمكانيات اللازمة لتنفيذ سياساتها التدخلية في منطقة المغرب العربي.

فما كان من بورقيبة إلّا أن يحرص بالتنسيق مع نظيره المغربي على محاصرة التأثير الناصري على الجبهة، ويمنع تعريبها واستقلال إمكانياتها كقوتين إسناديتين ضروريتين لحركات جيش التحرير الوطني الجزائري في توجيه سياسات جبهة التحرير.[1]

لقد صرح بنفسه (جمال عبد الناصر) من بعد، في حديث شخصي معه خلال شهر أكتوبر من سنة 1956 أنه درس "بعناية بغاية الاهتمام ماقاله له الوفد (الوفد الخارجي) وطلب منه مهلة تفكير ثلاثة أيام... لكن بعد اطلاعي على منهاج الوفد، وتأملي العميق في طريقة عمله، ارتحت له، وعلمت أنها عملية ناجحة لا محالة، ووعدتهم أنني أكون معهم إلى النهاية، وأمدهم حالا لما يمكن من سلاح خفيف، وأن أسعى شخصيا لدى الدول العربية وخاصة السعودية، لكي تمد الحركة بالمال، وهكذا أمرت الأخ فتحي والأخ عزت سليمان بأن يكون مع الوفد دوما ممثلين لي شخصيا[2].

[1] محمد الطيب رزوق، **النظام البورقيبي والثورة الجزائرية**، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 06.

[2] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 18.

في هذا الإطار جاءت سياسة المغربة التي أقرّها مؤتمر طنجة 1958 موجهة ضد فرنسا بقدر ما كانت موجهة ضد بقية الأطراف الأخرى خارج الإقليم المغاربي إذ أعطت الصراع على المستوى الدولي صورة مغاربية أكثر منها عربية.[1]

انعقد مؤتمر طنجة بالمغرب الأقصى 27 آفريل 1958، دعا إليه علاّل الفاسي الزعيم المغرب ورئيس حزب الاستقلال المغربي، ضم إلى جانب حزبه كلً من الحزب الحر الدستوري الجديد وجبهة التحرير الوطنية الجزائرية، قصد دراسة الأوضاع المستجدة على مستوى المغرب العربي والعمل على توحيد المواقف المغربية ضد الاستعمار الفرنسي.

رغم أهمية مؤتمر طنجة بالنسبة لاستراتيجية الثورة الجزائرية في الناحية الغربية، إلّا أنه أثار خلافاً بين زعماء جبهة التحرير الوطني فيما يتعلق بمشاركة أو عدم مشاركة الجبهة في المؤتمر حيث ظهر رأيان داخلها، فالأول يعارض حضور الجبهة ومشاركتها بدعوى أن المؤتمر في حد ذاته مؤتمر قطري انفصالي، ولا يُعبّر عن البعد الحقيقي العربي للقضية الجزائرية، ومن هذا المنطلق لا يحق لجبهة التحرير تزكية نزعة انفصالية في الوطن العربي، أما الرأي الثاني فقد أكدّ على ضرورة حضور المؤتمر لسببين اثنين هما:

أولاً: أهمية المغرب الأقصى وتونس بالنسبة للثورة الجزائرية.

ثانياً: ضرورة استغلال هذا المؤتمر لدعم الكفاح المسلّح داخل الجزائر.

كان الرأي الثاني هو الذي رجحت كفته، وبالتالي شاركت الجبهة في هذا المؤتمر. رغم أنها تُدرك تمام الإدراك أن المؤتمر كان عفوياً ودعوة رئيس حزب الاستقلال المغربي علال الفاسي لعقد هذا المؤتمر لم يصحبها أي تحضير ولا إعداد لجدول الأعمال وهو ما فسرته الجبهة على أنه جاء رداً على الوحدة بين القطرين الشقيقين مصر وسوريا فقط وبالتالي لابد من حضوره لأنه يُعبر عن

[1] محمدالطيبرزوق،المرجع السابق.

وحدة المغرب العربي، لقد مثّل جبهة التحرير الوطني، كل من فرحات عبّاس، وعبد الحميد مهري، أحمد ونيس وأحمد بومنجل. ومن أهم توصياته:

-تصفية الوجود الاستعماري الفرنسي في منطقة المغرب العربي وقرار توحيد منطقة المغرب العربي بما في ذلك موريتانيا.

-تشكيل أمانة دائمة للمؤتمر تتكون من ستة أعضاء مهمتها متابعة تنفيذ قرارات المؤتمر.[1]

كما عمل بورقيبة على محاولة استئصال الحركة اليوسفية، بعد أن أصبحت هذه الحركة تمثل الامتداد السياسي للثورة الجزائرية في دعوتها المغربية الحرب التحريرية، وللثورة الجزائرية في بعدها العروبي خاصة وأن مصر حاولت كما أكدّ ذلك بورقيبة استقلال العلاقة ثم جيش التحرير ضده.

كما أدت هذه المواجهة بين بورقيبة والحركة اليوسفية إلى الاصطدام بالنظام المصري، إذ عرفت العلاقات بين البلدين أزمة حادة باتهام تونس لمصر بدعم صالح بن يوسف ودعم أنشطته، وقد ارتبطت هذه الأزمة في إحدى أجزائها بالقضية الجزائرية وتطورها، وكشف اختلاف مواقف النظامين التونسي والمصري بشأن الحل الجزائري. واضعةً الحكومة الجزائرية المؤقتة بالمناسبة في موقف حرج للحكم بين بورقيبة وعبد الناصر، وكانت تونس اعتبرت إعلان تشكيل الحكومة الجزائرية المؤقتة في سبتمبر 1958 امراً غير ذي جدوى.

في ظل هذه الأجواء وتأزم العلاقة بين مصر جمال عبد الناصر وتونس بورقيبة، حاولت جامعة الدول العربية حل هذه المعضلة، لذا انعقد مجلس الجامعة العربية في 11 ديسمبر 1958 في جلسة علنية لاستقبال الوفد التونسي والترحيب به بمناسبة انضمام تونس إلى عضوية جامعة الدول العربية، إلّا أن الغريب في الأمر ما حدث في جلسة الافتتاح عند قيام الحبيب الشطي رئيس وفد الجمهورية التونسية وسفيرها في بيروت بمهاجمة الجمهورية العربية المتّحدة داخل قاعة الاجتماع

[1] مريم الصغير:**مواقف الدول العربية من القضية الجزائرية (1954-1962)**، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2012، ص 100.

وذلك بتوجيه من الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، ممّا أدى إلى حدوث أزمة في العلاقات بين البلدين خاصة بعد انسحاب وفد مصر احتجاجاً على موقف ممثل تونس في خطابه الأول، إلّا أن المندوب التونسي لم يترك مجالاً للشك حيث أوضح أنه لم يتعرض للجمهورية العربية المتّحدة في كلمته، وأن انسحاب الوفد يؤكد رغبته في تجنب مناقشة ما سيقال في شأنه.

أثار خطاب رئيس الوفد التونسي رؤساء الوفود العربية وطالبوه بالاعتذار إلّا أنه رفض وأخبرهم بأنه لا يستطيع ذلك لأنه ألقى خطابه بناءً على تعليمات وردت إليه من حكومة تونس، وأن نصّ الخطاب مرسل إليه من بورقيبة نفسه[1].

استنكر رئيس الوفد المغربي "عبد الخالق الطريسي" الموقف التونسي وأبدى أسفه لما قاله رئيس وفدهم، وأعلن بوصفه ممثلا للمغرب، أن دولته وهي إحدى دول المغرب العربي تُشيد بفضل الجمهورية العربية المتّحدة على تلك الدول، مؤكداً أنه أعلن ذلك حتى لا يُفهم أن حكومته متضامنة مع وفد تونس في هذا الموضوع، وأن هناك اتفاقاً أو تآمراً بين بعض الوفود لإثارة هذا الجو. وبالرغم من موقف الوفد السعودي المستنكر للموقف التونسي والمتمثل في أسعد الفقيه رئيس مجلس جامعة الدول العربية، إلّا أن الوفد التونسي أصرّ على الاستمرار في اتهاماته ومهاتاته في جلسة علنية، وفي 12 من ديسمبر 1958 عقد الحبيب الشطي مؤتمراً صُحفياً ألقى فيه بيانين:

1- مقاطعة جلسات الدورة الحالية لجامعة الدول العربية بدعوى أن العلاقات متوترة بين تونس والجمهورية العربية المتّحدة، أما البيان الثاني فقد تضمن النقاط التالية:

-إن الخلاف بين تونس والجمهورية العربية المتّحدة يرجع أصله إلى سبب جوهري واحد وهو تدخل الجمهورية العربية في الشؤون التونسية البحتة باحتضانها رجلاً مُجرماً يُدعى صالح بن يوسف، أثار فتنة داخلية في تونس وحكمة عليه المحكمة الشعبية في تونس بالإعدام.

[1] مريم الصغير: المرجع السابق، ص 54.

– أن حكومة القاهرة أوضحت أن صالح بن يوسف لاجئ سياسي، وأن له عليها حق الحماية والرعاية، وأن دستورها لا يسمح لها بإخراجه من ترابها، وأنّها حرّمت عليه كل نشاط سياسي عملا بما تقتضي القوانين في هذا الصدد.

وقد أوضحت جريدة الأهرام في هذا البيان العنيف أن الموضوع لا يُبرر أبداً لبورقيبة أن يتصرف على النحو الذي تصرّف به، ذلك أن مُلابسات هذا الموضوع هي كما يلي:

1– كان صالح بن يوسف الرجل الثاني في الحزب الدستوري، الذي يرأسه بورقيبة وكان ساعده الأيمن، وأقرب المقربين إليه.

2– كان بورقيبة نفسه لاجئاً سياسياً في مصر أيام كان الاستعمار الفرنسي يُطارده وكان صالح بن يوسف لاجئاً معه في مصر وقتها.

3– بعد أن وصل بورقيبة إلى الحكم وغادر منفاه في مصر، اختلف معه صالح بن يوسف واشتدّ الخلاف بينهما إلى حدٍّ أن أُصدر على صالح بن يوسف الحكم بالإعدام من محكمة شعبية شكّلها بورقيبة في تونس، وبذلك كان على صالح بن يوسف حكمان بالإعدام، واحد من فرنسا، والآخر من بورقيبة.

4– طلبت حكومة بورقيبة من حكومة القاهرة أن تلقي القبض على صالح بن يوسف وتسلمه لها لتنفيذ حكم الإعدام فيه.

5– ردّت حكومة القاهرة بقولها: "وقد اعترف البيان الذي أذاعه مندوب تونس، بصحة ما قالته القاهرة، أن صالح بن يوسف يعيش في مصر بوصفه لاجئاً سياسياً، وأن الدستور لا يسمح بإخراجه.

وعلى إثر ذلك غادر الحبيب الشطي رئيس الوفد التونسي القاهرة يوم 13 ديسمبر 1958 متوجهاً إلى بلاده. وقرّرت تونس الانسحاب من جامعة الدول العربية وعدم الاشتراك في

اجتماعاتها وقطع علاقاتها الدبلوماسية بالجمهورية العربية المتّحدة في 15 ديسمبر 1958 ومن هذا نستنتج أن تونس بانضمامها إلى جامعة الدول العربية أرادت أن تنهي موضوع صالح بن يوسف، ولكنه حدث عكس ذلك، فقد رفضت الجمهورية العربية المتّحدة أن تُسلّم صالح بن يوسف إلى بورقيبة. كما كانت حادثة مندوب تونس في جامعة الدول العربية فرصة لبورقيبة للتشهير بالقاهرة، ممّا أدى إلى ازدياد التوتر بين البلدين ومن ثمَ قطع العلاقات الدبلوماسية بينهما.[1]

كان الرئيس بورقيبة يطمح بعد قيام الثورة العراقية واختفاء نوري السعيد باشا من الساحة أن يُصبح هو رجل الغرب في المنطقة، ويبدو أنه طلب تفويضاً من الغرب بأن يكون مسؤولاً عن توحيد خطوط السياسة العامة في شمال إفريقيا، ولم يلق استجابة كافية فيما يبدو قد ضايقه، وهو يتصور نفسه رجل الدولة الحقيقي في العالم العربي ولا يجد من الآخرين اعترافاً كافياً لهذا التصور، ثم إنه يعتبر أن صالح بن يوسف يتآمر لقتله، وقال الدكتور محمود فوزي أن قضية صالح بن يوسف يُمكن حلّها، فنحن نستطيع تحديد نشاطه السياسي حرصاً على العلاقات مع تونس طالما هو في القاهرة. وردّ حسونة باشا كيف أنه في أثناء مُناقشته مع بورقيبة، اشتكى له بورقيبة من أن بعض الصحف في العالم العربي تصف جمال عبد الناصر بأنه عملاق، وأضاف بورقيبة أنه يعتبر ذلك سخرية منه لقصر قامته "فمعناه أنني قزم، وأن الباقين كلهم أقزام وأن عبد الناصر وحده هو طويل القامة وهامته أعلى منا جميعاً"، ثم أشار عبد الخالق حسونة باشا إلى أن بورقيبة اشتكى له من أن هناك ضُباطاً مصريين تسللوا إلى تونس، وهم يُحرضون بعض ضُباط الجيش التونسي ضدّه، وردّ الدكتور فوزي على ذلك بأن رجاء حسونة باشا أن يبعث إلى بورقيبة بأن الحكومة المصرية تُخوله الحق في القبض على مثل هؤلاء الضباط إن وُجدوا أو تقديمهم إلى المحاكمة. وكانت القضية أعمق كما أحسَّ حسونة باشا، ولعل جمال عبد الناصر أراد أن يوجهها على طريقته، فقد وقف في مدينة المنيا يومها يخطب أمام جماهير حاشدة ويقول إن لواء القومية العربية ليس معقوداً لجمال

[1] موقف جامعة الدول العربية من أزمة العلاقات السياسية المصرية التونسية 1958، في ضوء منشورات جريدة الأهرام المصرية.

عبد الناصر وحسب وأن الحركة القومية العربية أكبر من أي فرد، وأن قيادتها الحقيقية هي الجماهير الشعبية العربية، في حين أن مصير جميع الأفراد إلى الزوال.[1]

إذ كان سبب الخلاف، الموقف من الزعيم صالح بن يوسف، فإن جوهر التباين يعود إلى ما هو اعمق من ذلك، كان جمال عبد الناصر يدعو إلى أمة واحدة من المحيط إلى الخليج، بينما كان بورقيبة يُدافع عن مفهوم الأمّة التونسية، وتنسب بعض المصادر إلى أن الزعيم الحبيب بورقيبة في تصريحاته المتطرفة في هذا الخصوص منها: "إنّ ما يربطنا بالعرب ليس إلّا من قبيل الذكريات التاريخية وأن مرسيليا أقرب لتونس من بغداد أو دمشق أو القاهرة وأن اجتياز البحر الأبيض المتوسط أسهل من اجتياز الصحراء الليبية".

والمفروض أن النظام البورقيبي جنّد نخبته الفكرية ومثقفيه لتنفيذ المقولات الوحدوية ونسف مفهوم القومية العربية، بالتركيز على الذاتية التونسية حتى بعد عودة المياه إلى مجاريها بين البلدين وزيارة الزعيم جمال عبد الناصر لتونس في الذكرى الأولى للجلاء عن بنزرت، ثم زيارة الحبيب بورقيبة لمصر من 16 فيفري إلى 08 آفريل 1965، التي شملت عدّة بُلدان شرق أوسطية. فقد ظلّ الزعيمان على طرفي نقيض، ففي ساحة الجمهورية بالقاهرة بالذات وبينما كان الزعيم عبد الناصر يُشرف على احتفالات الوحدة القومية _وكانت قد انفصلت سوريا ومصر قبل ذلك بسنوات_ ويُلهب حماس الجماهير بشعارات الوحدة والقومية العربية والأمّة العربية، ظلَّ الزعيم بورقيبة ثابتاً في موقفه ولم يتحرّج من مواصلة الحديث في تلك المناسبة الوحدوية عن ذاتية كل بلد عربي وخصوصياته مُبرراً وجهة نظره بأن الأوضاع العربية لم تتوفر فيها الشروط اللازمة التي يقضيها التوحيد.[2]

المبحث الثالث: الحركة اليوسفية ومصير صالح بن يوسف.

[1] محمد حسنين هيكل:**سنوات الغليان**، انتاج جدران المعرفة، المجلد 12، العدد 3، سبتمبر 2017، ص 403.

[2] جريدة الصباح التونسية، بتاريخ 2010/09/29، التصنيف: مختصرات الأخبار.

شكّلت اتفاقية الحكم الذاتي التي تمّ توقيعها في تونس في 03 جوان 1955 والتي مُنحت بموجبها استقلالاً ذاتياً، مُنعرجاً سياسياً وتاريخياً كبيراً في تاريخ الحركة الوطنية التونسية، التي كان يقودها الحزب الدستوري الجديد بزعامة الحبيب بورقيبة، وعاشت تونس فترة مخاض عسيرة بين 03 جوان 1955 و20 مارس 1956، تاريخ استقلال تونس، حيث تفجرت كل التناقضات الإيديولوجية والسياسية والشخصية التي كانت الحركة الوطنية ضمتها خلال مرحلة تأطيرها وتجنيدها كل القوى الحيّة من أجل خوض معركة التحرّر والظفر بالاستقلال.

وهكذا انفجر الصراع بين الحبيب بورقيبة رئيس الحزب الذي كان أشد المؤيدين للتسوية السياسية مع فرنسا، وصالح بن يوسف الأمين العام للحزب الذي كان من أشد المعارضين لهذه التسوية، ومن ذلك الحين ولدت الحركة اليوسفية التي كان صالح بن يوسف أبرز عناصرها، ولكنها كانت تضم تيّارات سياسية وأخرى فكرية وعناصر نقابية وطلابية وآخرون ثوريون يؤمنون بالكفاح المسلح، وقطاعات عريضة شعبية متناقضة مع نهج الحبيب بورقيبة المساوم مع الاستعمار الفرنسي، فالحركة اليوسفية هي إحدى مظاهر الأزمة الحادّة التي دخلت فيها الحركة الوطنية التونسية، والتي أدّت إلى أكبر انشقاق شهده الحزب الدستوري الجديد، والكشف بأن هذا التنظيم ليس حزباً سياسياً له برنامجٌ واضح وعقيدة ثابتة لا تتزحزح، بقدر ما هو "حركة وطنية" التفت حولها تيّارات مختلفة وأحياناً مُتباينة.

مكونات الحركة اليوسفية:

قد وقف الحزب الحرّ الدستوري القديم إلى جانب صالح بن يوسف الذي أصبح يرى فيه معبراً لتطلعاته وأفكار الحزب الدستوري القديم ومرافقاً لتوجيهات الزعيم الكبير صاحب الرصيد النضالي، القادر على مضايقة الحبيب بورقيبة ومقارعته والوقوف بندية في وجهه، كما وقفت

جامعة الزيتونة المدافعة عن الهوية العربية الإسلامية إلى جانب صالح بن يوسف نظراً لعداوتها التقليدية مع لبورقيبة وأتباعه بسبب توجهاته العلمانية الغربية السافرة.

وانضم كبار الفلاحين الذين مكّنهم صالح بن يوسف من العبور إلى الاتّحاد العام للفلاحة التونسية إلى الحركة اليوسفية بهدف حماية مصالحهم أمام خطر النزعة العالمية الاشتراكية التي يُمثلها الاتحاد العام التونسي للشغل الذي تحالف مع الرئيس بورقيبة في الفترة الانشقاق داخل الحركة الوطنية.

وانضم أيضاً قسم من جيش التحرير "الفلاقة" الذين لهم ميول عروبية مشرقية إلى الحركة اليوسفية، بهدف استعادة مكانتهم في معركة التحرير الوطني واستعادة سلاحهم الذي جرّدهم منه بورقيبة، ليحصد وحده ثمرة كفاحهم ويحصد تضحياتهم وما بذلوا من دمائهم وأرواحهم.

كما أن البرجوازية التقليدية التونسية _التي بدأت آنذاك تتضح معالمها الطبقية والإيديولوجية وهي تحاول أن تكون وطنية وأكثر راديكالية من فئة الطبقة الوسطى المهزوزة ذات الطابع الإقليمي_ وجدت ضالتها في الحركة اليوسفية، لأن هذه الأخيرة كانت تطالب بتحرير المغرب العربي تحريراً كاملاً.

ولما جرّت الحركة اليوسفية وراءها القوى التقليدية في تونس المتعلقة بالماضي والمتخوفة من المستقبل والمدافعة عن الهوية العربية الإسلامية للبلاد، كان جناح بورقيبة رئيس الحزب الحر الدستوري الجديد المتشبع بالثقافة الفرنسية، والمدافع عن مشروع التمدين الفرنسي والذي ينادي بسياسة المراحل "مبدأ خذ وطالب" الذي يندرج فيما بفلسفة "التهديد والترغيب" قد استقطب فئات الطبقة الوسطى المدنية والريفية، وكذلك العمال والأجراء والموظفين المنضوين تحت لواء الاتحاد العام التونسي للشغل بزعامة أحمد بن صالح الذي تقدم ببرنامج اقتصادي واجتماعي ذي طابع إصلاحي أهم ركائزه تأميم الشركات الاستعمارية الفرنسية والاعتماد على تدخل الدولة في الميدان الاقتصادي على أساس تخطيط يُحدد أهداف ووسائل لتحقيق التنمية الاقتصادي.

البعد القومي للحركة اليوسفية:

يعود البعد القومي للحركة اليوسفية إلى المؤتمر الذي عُقد في القاهرة عام 1947، وضمَّ كافة حركات التحرّر الوطني في المغرب العربي وتونس، وقد انبثق عن هذا المؤتمر لجنة سُميت "لجنة تحرير المغرب العربي" في 05 جانفي 1948، أسندت رئاستها إلى الأمير محمد عبد الكريم الخطابي، وأمانتها العامة للحبيب بورقيبة، وينصُ ميثاق اللجنة على:

1- المغرب العربي بالإسلام كان وللإسلام عاش، وعلى الإسلام سيسير في حياته المستقبلية.

2- المغرب العربي جُزءٌ لا يتجزأ من بلاد العروبة وتعاونه في دائرة الجامعة العربية على قدم المساواة مع بقية الأقطار العربية أمر طبيعي لازم.

3- الاستقلال التام لكافة أقطاره الثلاث (تونس والمغرب والجزائر).

4- لا غاية يسعى لها قبل الاستقلال.

5- لا مفاوضات إلّا بعد إعلان الاستقلال.

6- لا مفاوضات مع المستعمر في الجزئيات ضمن النظام الحاضر.

7- حصول قطر من الأقطار الثلاثة على استقلاله التّام لا يُسقط عن اللجنة واجبها في مواصلة الكفاح لتحرير البقية.

وافق على هذا الميثاق كل من محمد بن عبد الكريم الخطابي ورؤساء الأحزاب الوطنية المغاربية التالية:

عن تونس:

- الحزب الدستوري الجديد (الحبيب بورقيبة والحبيب ثامر)

- الحزب الدستوري القديم (محي الدين القليبي)

عن الجزائر:

- حزب الشعب الجزائري (الشاذلي المكي)

عن المغرب:

- حزب الاستقلال (أحمد بن مليح وعلال الفاسي)

- حزب الشورى والاستقلال (محمد العربي العلمي والناصر الكتاني)

- حزب الإصلاح الوطني (عبد الخالق الطريسي ومحمد أحمد بن عبود)

- حزب الوحدة المغربية (محمد اليامين الناصري)

ودبّت الخلافات بين أعضاء مكتب المغرب العربي، وخاصة بين قيادة الحبيب بورقيبة التي وافقت منذ البدء على الارتباط بالأنظمة الرجعية العربية وبالإمبريالية الأمريكية وبين قيادة كل من الدكتور الحبيب ثامر ويوسف الروسي عضو الديوان السياسي للحزب الجديد ورئيس لجنة تحرير المغرب العربي بدمشق والأمير عبد الكريم الخطابي، بسبب المواقف المتباينة من الكفاح المسلح. ومن أهم العوامل التي أسهمت فعلياً في تعميق البعد القومي للحركة اليوسفية، وبالتالي إخراج المسألة الوطنية التونسية من حيّزها القطري الضيّق إلى بعدها العربي، واندلاع ثورة 23 يوليو 1952 بمصر بزعامة جمال عبد الناصر.

لقد أصبح صالح بن يوسف زعيماً لحركة المعارضة للاتفاقيات عام 1955، وقد تلقى الدعم القوي من جانب قيادات الحزب الحر الدستوري ذات الاتجاه القومي المعروف وخاصة يوسف الروسي وإبراهيم طوبال الذي أصبح الممثل الرسمي للحزب الدستوري الجديد في لجنة تحرير المغرب العربي[1].

[1]توفيق المدين: **صفحات من تاريخ الحركة القومية العربية في تونس**، ب س، ص 60.

لقد تبلور خط الحركة اليوسفية باعتباره تيّاراً وطنياً وعروبياً يقوده الزعيم صالح بن يوسف الذي استطاع أن يشقّ الحزب الدستوري الجديد إلى قسمين: الديوان السياسي بزعامة الحبيب بورقيبة والأمانة العامة بزعامة صالح بن يوسف وقد تلقت الحركة اليوسفية دعماً قوياً من جانب جبهة التحرير الوطني الجزائرية بإمضاء محمد خيضر، ومن حزب الاستقلال المغربي بإمضاء علال الفاسي.

لقد أدرك بورقيبة أن التسوية السياسية مع الاستعمار الفرنسي هي مفتاح الحل للمسألة الوطنية التونسية، لذلك ضحى بالمقاومة المسلحة وعمل على تجريدها من السلاح لأنه علم أن استمرار الكفاح المسلح ضد الاستعمار الفرنسي يعني أن مركز الثقل السياسي سيميل بكل تأكيد لمصلحة الحركة اليوسفية التي تقود هذا الكفاح المسلح والمتحالفة عضوياً مع الثورة الجزائرية، وعلى الرغم من أن صالح بن يوسف حاول أن يحسم الصراع مع بورقيبة على أرضية سياسية، من خلال انعقاد مؤتمر تاريخي للحزب ليحسم الشعب الخلاف حول الاتفاقيات، إلا أن بورقيبة تحالف مع الاستعمار الفرنسي ولجأ إلى القوة لحسم الخلاف مع خصمه، ما جعل بن يوسف يحتاج إلى أسلوب المقاومة العسكرية أمام بورقيبة الذي هزمته شعارات العروبة والإسلام وتكونت هذه المقاومة من عناصر تونسية جزائرية مشتركة ومن أبرزها مجموعة رضا بن عمّار بالعاصمة وغيرها، أمّا عن تقدير أعدادهم فيتراوح بين 600 و 1500 رجل.

وأمام هذه التعبئة للمقاومة المسلحة من جانب الحركة اليوسفية، والتحام هذه الأخيرة بالثورة الجزائرية المسلحة، وتحالفها مع الحركة القومية العربية الصاعدة في المشرق العربي، عمل بورقيبة رئيس الديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد على بعث لجان اليقظة وهي ميلشيات حزبية مسلحة، وقد تحالفت هذه اللجان مع القوات النظامية التونسية والجيش الفرنسي للقيام بهذه المهمة، فقد أقلع سلاح الجو الفرنسي من تونس بين 27 جانفي و02 فيفري 1956، 62 مرة في مهام استطلاعية أو لحماية القوافل العسكرية. وقد أدى التدخل المكثف للطيران الفرنسي إلى إحداث مذبحة في منطقتي "مدنين" "مطماطة" وقد أسفر هذا الهجوم عن أكثر من 4000 قتيل سنة

1956، وقامت الشرطة من جهتها باعتقال 2372 من اليوسفيين حسب المصادر الرسمية، أدى إلى استسلام المجموعات المسلحة، وأبرزهم استسلام الطاهر الأسود في 03 تمّوز 1956. وقد بلغ عدد المقاومين الذين استسلموا للسلطات التونسية 6000 رجل بين فيفري وتموز 1956.[1]

مصير صالح بن يوسف:

بعد تصفية الحركة اليوسفية، ارتمى النظام البورقيبي في أحضان الإمبريالية الغربية، التي مكنته من كسب المعركة مع المعارضة العروبية ورفع شعار معادات القومية العربية، والتضامن مع العالم الغربي، وإذا كانت الحركة القومية قد صُفيّت رسمياً من خلال تصفية جناح صالح بن يوسف في الحزب الدستوري، فإن التيّار القومي التقليدي في المغرب الأقصى قد ضُرب أيضاً حيث كان يُمثله الجناح التقدمي في حزب الاستقلال والذي انفصل فيما بعد بقيادة الزعيم المهدي بن بركة ليكون "اتّحاد القوى الشعبية" وانتهت آخر مواقع هذا التيّار القومي التقليدي عندما ضُرب أحمد بن بلّة بعد الإطاحة بحكمه سنة 1965.[2]

أمّا مصير الزعيم صالح بن يوسف فاختار المنفى وسافر مع عائلته إلى مصر إلى أن تمّ اغتياله في 12 أوت 1961 أثناء زيارته إلى ألمانيا، المدبرة من الرئيس بورقيبة الذي أعطى الأوامر باغتيال بن يوسف، وقد اعترف في إحدى خُطبه بأنه كلّف أحد مُعاونيه وهو "البشير زرق العيون" بتنفيذ عملية الاغتيال، كما صرّحت زوجة صالح بن يوسف السيدة صوفية في منفاها في القاهرة بأن بورقيبة هو الذي أمر باغتيال زوجها صالح بن يوسف.[3]

أمّا الزعيم إبراهيم طوبال فقد صرّح: إذا كانت السلطات الألمانية والسويسرية لاعتبارات سياسية محضة لم تفضح القتلة المجرمين ومن وراءهم، إلّا أنني أؤكد مجدداً ونتيجة اطلاعي على بعض

[1] توفيق المدين:المرجع السابق، ص 60.

[2] سالم لبيضن اليوسفية، من موقع .www.habibbouryuiba.net

[3] ألفه السلامي: هل قتل بورقيبة صالح بن يوسف؟ الأهرام العربي، 2019/03/21.

الوثائق التي سُمح لي بالاطلاع عليها والبحث الموضوعي في هوية القتلة ومن وراءهم، ومن خلال حديثي مع شخصيات سويسرية وألمانية مسؤولة، أنا أؤكد أن المجرم الحقيقي هو البشير زرق العيون بمشاركة ابن أخته بن تربوط والصادق بن حمزة ورزقي والسفير توفيق المرجان زوج ابنة وسيلة بنت عمّار(زوجة بورقيبة) وأن المنفذين هما محمد الورداني وعلي ورق.

لابد من العودة إلى سنة 1961 بالتحديد إلى شهر فيفري، مستنداً في هذه التوضيحات على وثيقة مكتوبة من طرف الشرطة السياسية السويسرية، فلقد حاولت السلطات السويسرية ونتيجة إلحاح دائم وشديد من قبل بورقيبة، بحجة العمل على الوفاق بين الرجلين وترتيب لقاء بينهما يتمُ على الأراضي السويسرية التي اشتهرت بحيادها ومواقفها الإنسانية، للمساهمة حسب رأي بورقيبة في الشمل وإنهاء الفرقة والانقسام[1]، ولم تكن السلطات السويسرية تدري النوايا الحقيقة للحبيب بورقيبة، وأهدافه من وراء هذا اللقاء الذي كان عبارة عن عملية جس نبضٍ للشهيد صالح بن يوسف ويُشعره بأنه القوي، ومن مركز قوته سيصفح عنه، ويدعوه للعودة إلى البلاد، فإن استجاب لتلك الدعوة فإن في ذلك نهاية له لأنه سيصبح تحت رحمة بورقيبة، وإن رفض العودة كان ذلك دلالة على أنه متشبث بأفكاره، ممّا يستدعي خُطة للخلاص منه في الخارج، وهذا ما حدث بالفعل، فالشهيد بن يوسف الذي كان يعيش في القاهرة، حاول استدراجه (أي بورقيبة) للخارج حيث يسهل قتله، وقد شعر الشهيد بالمكيدة التي تُدبّر له، لكنه قبل المقابلة شريطة حضور ممثلين عن السلطات السويسرية في قاعة الاجتماع وأن لا يُعامل صالح بن يوسف كرجل عادي وبورقيبة كرئيس دولة، فقبلت السلطات السويسرية هذه الشروط وجرت المقابلة على الشكل التالي: دخل بورقيبة الصالون...مدّ بورقيبة يده لمصافحة صالح بن يوسف لكن هذا الأخير رفض مدّ يده إليه، فلقد أبى عن نفسه أن يُصافح اليد التي وقّعت معاهدة الخيانة مع فرنسا، وجرى بعد ذلك الحديث كالتالي: الحبيب بورقيبة: "إنني أحترمك كثيراً وأريد أن نتعانق وأن ننهي خلافاتنا، التي لم تعد لها في الواقع سبب يُذكر، صالح بن يوسف: "ليس صحيحاً. لازلت أعتبر الاتفاقيات خطرة

[1] ألفة السلامي: المرجع السابق.

والاستقلال الصوري ليس إلّا كارثة على تونس وعلى الثورة الجزائرية، التي أعلم أنك تتآمر عليها، وأن العصابة التي تُحيط بك لا تشجعني على مصافحتك وبالتالي على معانقتك، وأن القادة الفرنسيين قد أكدوا في تصريحاتهم أمام الجمعية الوطنية في جوان 1956 على أهمية بروتوكول 20 مارس 1956 لإيقاف الثورة التونسية بقيادة صالح بن يوسف، وقطع كل محاولة لمساعدة الثورة الجزائرية ومنع دخول تونس إلى الجامعة العربية وتحطّم الدفع القومي الذي يقوده عبد الناصر، واستأنف صالح بن يوسف كلامه قائلاً: "...وعليك أن تعلم، أنه لولا الحاح السويسريين على مقابلتك لما قابلتك نظراً لخيانتك التي لا تستحق الصفح."

وقد اعترت بورقيبة الدهشة وقال بلهجة حاقدة: "ما زلت مُصراً على قُصر نظرك" وكان رد صالح بن يوسف صفعة قوية على وجه بورقيبة وتوتر الجو واضطرت الشرطة السويسرية للتدخل وإخراج صالح بن يوسف من الصالون، وتوترت الأجواء وشعر بورقيبة بالهزيمة.[1]

وتؤكد بعض المعلومات أن الرئيس بورقيبة أمضى ليلة الحادثة وهو في استياء وغضب شديدين، ولم يتناول حتى طعامه وبعد الإعداد لخطة لتصفية صالح بن يوسف، ففي 02 يونيو 1961 غادر الزعيم صالح بن يوسف القاهرة مع زوجته متوجهاً إلى ألمانيا قصد عرض نفسه على طبيب خاص، وبعد ذلك بشهرين وتحديداً في 11 أوت كان بن يوسف يتهيأ للسفر إلى كوناكري لحضور مؤتمر الحزب الديموقراطي الغيني بدعوة من الرئيس أحمد سوكوتوري إلّا أن البشير زرق العيون طلب إعداد لقاء مع الحبيب بورقيبة في ألمانيا، وقد واقف الزعيم صالح بن يوسف على ذلك اللقاء الذي اتفقا على أن يتمّ على الساعة السادسة مساءً في فندق روايال في مدينة فرانكفورت.

ولما وصل الزعيم صالح بن يوسف إلى الفندق المذكور في الوقت المحدد، ولما جلس الزعيم على المقعد خرج له قاتلان من غرفة الحمام ليرديا قتيلاً بكاتم الصوت وكان ذلك في 12 أوت

[1] إبراهيم طوبال: القصة الحقيقية لاغتيال صالح بن يوسف. www.habibbouryuiba.net.

1961، حيث دفن في القاهرة، ثم أعيدت رُفاته إلى تونس في 23 ماي 1991 حيث دفن هناك.[1]

[1] إبراهيم طوبال: المرجع السابق.

خاتمة

خاتمـة:

من خلال هذا البحث الذي تناول النشاط السياسي والنضالي لصالح بن يوسف في الفترة الممتدة ما بين 1934-1956 توصلنا إلى الاستنتاجات التالية:

1- بروز صراع أيديولوجي داخل الحركة الوطنية التونسية بين تيّار عربي إسلامي مثّله الشيخ عبد العزيز الثعالبي ومحي الدين القليبي، وصولاً إلى صالح بن يوسف. وتيّارٍ فرانكفوني يتزعمه الحبيب بورقيبة وأغلب أعضاء الديوان السياسي.

2- إيمان صالح بن يوسف بوحدة الكفاح المسلّح لأقطار المغرب العربي الثلاث، انطلاقاً من مؤتمر القاهرة سنة 1947 وقرارات لجنة تحرير المغرب العربي 1948.

3- بروز توافق فكري وأيديولوجي بين صالح بن يوسف والزعيم جمال عبد الناصر، خاصة بعد ثورة 23 يوليو 1952 وبروز ما يسمى بالقومية العربية وضرورة محاصرة الاستعمار التقليدي في البلدان المغاربية.

4- تطلّع صالح بن يوسف إلى ضرورة تعميم الكفاح المسلح بالقارة الإفريقية وضرورة دعم حركات التّحرر خاصة في القارة الإفريقية طبقاً لقرارات مؤتمر باندونغ الأفروأسيوي 1955.

5- ارتباط صالح بن يوسف بالثورة الجزائرية ورفضه لسياسة المراحل التي تبناها غريمه الحبيب بورقيبة، وضرورة التشاور والتنسيق مع قادة الثورة التحريرية أمثال أحمد بن بلّة، ومحمد خيضر.

6- رفض فرنسا التفاوض مع صالح بن يوسف بالرغم من كونه الأمين العام للحزب الدستوري الجديد لاعتقاده الجازم بأنه يُشكل خطراً كبيراً على المصالح الاستعمارية الفرنسية ليس فقط في تونس بل في كل أقطار المغرب العربي والقارّة الإفريقية. واللعب بورقة غريمه الحبيب بورقيبة الذي اعتبرته فرنسا شريكاً استراتيجياً في حماية المصالح الفرنسية في المنطقة المغاربية.

7- نجاح فرنسا في إيجاد نخبة في تخلفها في الحكم حين رحيلها لتحافظ على مصالحها الثقافية والاقتصادية والعسكرية.

8- إنّ وقوف فرنسا إلى جانب الحبيب بورقيبة الذي استغل الظروف الدولية والإقليمية والمحلية في تمرير سياسة المراحل والحكم الذاتي الذي تبناه، والمتمثلة في انحصار فرنسا الاستعمارية خاصة بعد هزيمتها في الهند الصينية وبداية الكفاح المسلح في المغرب الأقصى واندلا ع الثورة الجزائرية. وخوفاً من امتداد المدّ الناصري في شمال إفريقيا، إضافة إلى اتفاق القوى الداخلية في تونس مثل الاتّحاد العام التونسي للشغل وانضمامه إلى بورقيبة والدعم العسكري والقتال إلى جانب بورقيبة ضدّ الثوار التونسيين وبالتالي استسلام أغلب المقاومين في تونس والتزامهم بسياسة بورقيبة على حساب صالح بن يوسف الذي تمت إزاحته جسدياً سنة 1961 ورغم هذا ما زال الصراع إلى يومنا هذا في تونس محتدماً بين تيّارٍ تغريبيٍ يريد ربط تونس بالفكرة المتوسطية الفرنكوفونية وبين تيّارٍ عربي إسلاميٍ اعتبر تونس أحد قلا ع وحصون العروبة والإسلام.

9- نجاح بورقيبة في التخلص معارضيه أمثال الماطري ويوسف الرويسي وحسين التريكي وإبراهيم طوبال وأخيراً صالح بن يوسف.

10- تراجع التيار القومي باغتيال صالح بن يوسف.

وكما يُمكننا من خلال تتبع مسار الحركة الوطنية التونسية، تغييب شخصيات تونسية ساهمت مساهمة فعالة في النضال السياسي في تونس والمنطقة المغاربية أمثال عبد العزيز الثعالبي – يوسف الرويسي، حسن التركي، والمنصف باي، لا لسبب إلّا لأن أغلبهم عارضوا سياسة الحبيب بورقيبة وتبنوا أطروحات صالح بن يوسف والحركة اليوسفية. لذا نُلاحظ حالياً وجوب إعادة كتابة تاريخ الحركة الوطنية التونسية بعيداً عن التاريخ الرسمي الذي تبنته منذ الاستقلال تونس 1956 إلى يومنا هذا من خلال المعهد العالي للحركة الوطنية التونسية ومؤسسة المؤرخ عبد الجليل التميمي للبحث العلمي بزغوان بتونس، وهيئة الحقيقة والكرمة التي أسّستها الدولة التونسية لتتبع الجرائم السياسية التي حدثت

في تونس أثناء الثورة وبعد الاستقلال خاصة عمليات التعذيب التي طالت أتباع صالح بن يوسف والكشف عن حقيقة من كانوا وراء اغتيال صالح بن يوسف.

ملحق رقم 01: صورة صالح بن يوسف.

المصدر: **حبيب بولعراس**، تاريخ تونس، ص 624.

ملحق رقم 02: صالح بن يوسف مع الأمين الباي.

المصدر: **حبيب بولعراس**، نفسه، ص 637.

ملحق رقم 03:صالح بن يوسف مع الباهي الأدغم وبورقيبة في الأمم المتحدة.

المصدر: **حبيب بولعراس**، نفسه، ص 652.

ملحق رقم 04: منديس فرانس مع الطاهر بن عمار.

المصدر: **حبيب بولعراس**، نفسه، ص 655.

* محمد الطاهر بن عاشور (1879- 1973) عالم وفقيه تونسي.

*محمد الخضر حسين(1876-1958) عالم دين جزائري تولى مشيخة الأزهر من 1952-1954.

*حسن قلاتي (1880-1966) من أصول جزائرية، درس في معهد كارنو وجامع الزيتونة من محرري جريدة التونسي.

*علي باش حمبة (1876-1918) صحافي، رجل سياسي تونسي، مؤسس حركة الشباب بتونس.

*خير الله بن مصطفى (1867-1965) صحافي، أحد عناصر الحركة الإصلاحية.

*علي بوشوشة: (1859-1917) درس في جامع الزيتونة، والمدرسة الصادقية، اتجه نحو الفلاحة والصحافة.

*البشير صفر: (1856-1917) درس في الصادقية، ساهم في تأسيس الخلدونية، يعد أهم وجوه الحركة الوطنية في تونس.

*جمعية العروة الوثقى: أسسها جمال الدين الأفغاني مع محمد عبده 1885 بباريس، تدعوا إلى الوحدة الإسلامية

*جمال الدين الأفغاني (1858- 1897) عالم، ومصلح دعا إلى الجامعة الإسلامية مع محمد عبده.

*محمد عبده (1849-1905) عالم مصري، أسس جمعية العروى الوثقى مع جمال الدين الأفغاني.

*سعد زغلول (1858-1927) زعيم مصري وقائد ثوري 1919.

*محمد الأصرم (1858-1925) من القيروان، تتلمذ في المدرسة الصادقية وجامع الزيتونة.

*الرئيس ولسن (1912-1924) رئيس الـ و.م.أ صاحب المبادئ 14، حائز على جائزة نوبل للسلام 1919.

*أحمد الصافي (1882-1935) ولد بتونس، أحد مؤسسي الحزب الحر الدستوري التونسي.

*أحمد السقا (1891-1957) زعيم وطني تونسي.

* الثعالبي (عبد العزيز) (1875-1944) مؤسس الحزب الحر الدستوري التونسي، أبرز قادة الحركة الوطنية التونسية.

*بلقاسم قناوي: 1907-1987: نقابي تونسي أسس نقابة جامعة عموم العمالة التونسية الثانية 1937-1938.

*أحمد بن صالح: 1926- إلى اليوم: نقابي وسياسي تونسي ترأس النقابة بعد اغتيال فرحات حشاد.

*فرانسوا ميتيران: 1916-1996 سياسي فرنسي شغل منصب رئيس الجمهورية مرتين 1981-1995.

*إدوارد هيريو (1924-1925) تولى منصب رئيس الوزراء بفرنسا

*أحمد التليلي (1916-1967) قيادي وطني ونقابي تونسي وأحد مؤسسي الدولة الوطنية الحديثة.

*مصطفى الفلالي (1921-2019) سياسي نقابي ومثقف كان أول من تولى حقيبة الفلاحة بعد الاستقلال.

*إبراهيم طوبال (1924-1994) سياسي ودبلوماسي تونسي، معارض بارز لنظام بورقيبة.

*علي البهلوان (1909-1958) أحد زعماء الحركة الوطنية التونسية، الحزب الدستوري الجديد له كتاب تونس الشهيدة، نحن أمة.

*الباهي الادغم (1913-1998) سياسي تونسي، شغل منصب الوزير الأول بين 1969 و 1970.

*الرشيد ادريس (1917-2009) مناضل وطني تونسي، من أبرز قادة الحزب الدستوري الجديد.

*محمد شنيق (1889-1976)، سياسي تونسي، تولى الوزارة تحت الحماية الفرنسية ما بين 1950 و 1952.

*الملك فاروق (1920-1965) بخر ملوك المملكة المصرية، أطيح به بثورة 23 يوليو 1952.

*جول فيري (1832-1893) سياسي فرنسي من أشد أنصار الحركة التوسعية الفرنسية.

*عبد الرحمان عزام (1893-1976) أصبح في مم مارس 1945 أول أميمن عام لجامعة الدول العربية.

*نوري السعيد (1888-1958) سياسي عراقي، شغل منصب رئاسة الوةزراء في المملكة العراقية 14 مرة من 1930 إل 1958.

*عبد الخالق حسونة (1898-1992) ثاني أمين عام لجامعة الدول العربية.

*جمال عبد الناصر (1918-1970) تولى السلطة من 1956 إلى غاية وفاته، هو أحد قادة ثورة 23 يوليو 1952 التي أطاحت بالنظام الملكي بمصر.

*الحبيب عاشور (19132-1999) زعيم نقابي تونسي، ترأس C.G.T وانضم إلى شق بورقيبة في خلافه مع صالح بن يوسف.

*لويس التاسع (1214-1270) قائد الحملة الصليبية الثامنة 1270 على تونس.

*الشاذلي خير الله (1898-1972) من وجوه الحركة الوطنية التونسية، مفكر وسياسي بارز.

*هوت كلوك (1952-1953) مقيم عام فرنسي بتونس، سلط القمع على المقاومة التونسية، أستخلف بالمقيم فوازار.

*طاهر بن عمار (1889-1985) سياسي تونسي، تولى الوزارة الكبرى، في عهده تم التوقيع على اتفاقية استقلال تونس 20-03-1956.

*ستيفان بيشون (1857-1933) صحفي فرنسي.

*كمال أتاتورك (1881-1938) قائد الحركة التركية التي أطاحت بالخلافة الإسلامية بتركيا وظهور تركيا الحديثة 1924.

*محمد باش حمبة (1881-1920) شقيق علي باش حمبة، زعيم وطني تونسي، أسس مجلة المغرب العربي بالفرنسية في جنيف.

*الهادي نويرة (1911-1993) سياسي ومناضل تونسي، من أبرز قادة الحزب الدستوري التونسي الجديد.

الشاذلي قصطلي

*محمد علي الحامي (1890-1928) مؤسس جامعة عموم العملة التونسية 1924.

*محمد المحمودي (1925-2016) سياسي ورجل دولة تونسي، اصبح وزير دولة في حكومة الطاهر بن عمار التي تشكلت للتفاوض مع فرنسا للوصول إلى الاستقلال الداخلي.

*طاهر لسود (1911-1996) أشهر قادة المقاومة المسلحة في تونس، وقف إلى جانب الثورة الجزائرية تحت لواء جبين تحري المغرب العربي، التحق بجبال الأوراس وقضى شهرين إلى جانب الثوار الجزائريين.

*لزهر شريط (1914-1917) مجاهد جزائري، بطل معركة الجرف 1955، انضم إلى الجيش التونسي كمتطوع، ساهم في جمع الأسلحة.

*محمد مزالي (1925-2010) سياسي تونسي، شغل منصب الوزير الأول من 1980 إلى 1986.

*فتحي الذيب (1923-2003) رجل مخابرات مصري، مهندس حركات التحرر في المغرب ومنسقها.

*بيرم الخامس(1840-1889) عالم دين ورحالة وكاتب وصحفي وإصلاحي تونسي، صاحب كتاب صفوة الاعتبار.

*محمد السنوسي (1851-1900) كاتب وجامعي تونسي.

*محمد الناصر (1855-1922) هو الباي 15 من بايات تونس حكم ما بين 1906 إلى 1922.

*الصادق النيفر (1882-1937) فقيه وأديب تونسي عارف بالمخطوطات.

*محمد علي الحامي (1890-1928) مؤسس جامعة عموم العملة التونسية، التي تعتبر أول منظمة نقابية بتونس.

*الطاهر الحداد (1899-1935) نقابي تونسي.

* صالح فرحات (1894-1979) احد أبرز زعماء الحزب الدستوري التونسي القديم ، درس في كارنو.

* محمود الماطري (1897-1972) رئيس الحزب الحر الدستوري الجديد 1934، أحد أبرز رواد الحركة الوطنية التونسية.

* البحري قيقة (1904-1995) من أبرز زعماء الحزب الدستوري الجديد، سياسي ومحامي.

* فرحات حشاد (1914-1952) مؤسس C.G.T (الاتحاد العام التونسي للشغل 1944، أغتيل من طرف العصابات التابعة لفرنسا.

1- المصادر باللغة العربية والفرنسية

- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، مذكرات، الجزء 3، ش. و.ط. ن، د. ت، الجزائر.ç_
- الثعالبي عبد العزيز، تونس الشهيدة، ترجمة وتقديم سامي الجندي، دار القدس، بيروت، لبنان.
- الصافي سعيد، بورقيبة، سيرة شبه محرمة، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 2000م.
- بالخوجة الطاهر، الحبيب بورقيبة، سيرة زعيم، شهادة على العصر، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى 1999.
- حمادي الساحلي، تراجم وقضايا معاصرة، جمع وترتيب: محمد العزيز الساحلي، دار المغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2005.
- علي البهلوان، تونس الثائرة، مؤسسة هنداي، المملكة المتحدة (بلا تاريخ).
- محي الدين القليبي، مأساة عرش، تقديم مكتب الاستعلامات، اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري التونسي الحر (بلا تاريخ)
- يونس درمونة، تونس بين الاتجاهات، دار الكتاب العربي، مصر، 1953
-Habib boularès: histoire de la Tunisie، Cérès Edition، 2eme edition، juin 2012.

المراجع بالعربية:

- أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر(1881-1956)، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1986، الطبعة الأولى.
- الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة-1830-1858، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس.
- المنصف الشابي، صالح بن يوسف، حياة كفاح، دار النقوش العربي، تونس، ط2.
- بثينة عبد الرحمن التكريتي، جمال عبد الناصر، نشأة وتطور الفكر الناصري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2000.
- توفيق المديني، صفحات من تاريخ الحركة القومية العربية في تونس.
- خليفة الشاطر وآخرون، تونس عبر التاريخ، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، ج 3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005.
- زوزو عبد الحميد، دور المهاجرين الجزائريين في فرنسا(1919-1939)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر.

- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، طبعة 2009.
- علي المحجوبي، الحركة الوطنية التونسية بين الحربين، منشورات الجامعة التونسية، 1986.
- علي المحجوبي، جذور الحركة الوطنية التونسية، تعريب عبد الحميد الشابي، شركة آربيوس للطباعة، تونس، الطبعة الأولى.
- محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي فكرة وواقعاً (1954-1975)، البصائر الجديد للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى.
- محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، حرب الثلاثين سنة، 1957، إنتاج جدران المعرفة (بلا تاريخ).
- محمد ضيف الله، صالح بن يوسف، خطب ووثائق أخرى، جامعة المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر.
- محمد علي داهش، المغرب العربي المعاصر (الاستمرارية والتغيير)، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2014.
- مريم الصغير، مواقف الدول العربية من القضية الجزائرية(1954-1962)، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2012.
- يوسف مناصرية، الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية (1934-1937)، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس.
- يوسف مناصرية، دراسات وأبحاث حول الثورة الجزائرية(1954-1962)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.
-أحمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1994.
علي المحجوبي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، ترجمة عمر ضو وآخرون، سراس للنشر، تونس، 2002.

المقالات والدوريات العلمية:

- العايب معمر، التباين الإيديولوجي لقيادة مكتب ولجنة المغرب العربي بالقاهرة، مقال، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، (بلا تاريخ).
- جلاوي السعيد، التقاطعات الاستراتيجية في إطار النضال المغاربي المشترك بالقاهرة 1949/1947، مقال، جامعة محند ولحاج، البويرة، (بلا تاريخ).
- سعيد الجلاوي، مكتب المغرب العربي بالقاهرة من الائتلاف إلى الاختلاف (1947-1949) –مجلة معارف، العدد 21 ديسمبر 2016، جامعة البويرة.
- سميحة درّي، جهود عبد الكريم الخطابي في مكتب المغرب العربي بالقاهرة، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، (بلا تاريخ).

- ليلى بوجلال، نور الدين ثيو، النضال النقابي في الحزب الدستوري التونسي، أكاديمية الدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة منتوري والأمير عبد القادر، قسنطينة، العدد 20، 2018.

- محمد السعيد عقيب، المؤتمر الأقمارتي بقرطاج ماي 1930 وتطور العمل الوطني بتونس، مجلة البحوث والدراسات، العدد22، السنة 13، صيف 2016.

- محمد الطيّب رزوق، النظام البورقيبي والثورة الجزائرية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 06، (بلا تاريخ).

- محمد بن زروال، الدعم السياسي والعسكري المغاربي للثورة الجزائرية من خلال تقارير وتوصيات مكتب المغرب العربي (1954-1956)، جامعة باتنة 01.

- محمد بوطيبي، الحركة النقابية التونسية، دراسة مقارنة بين جامعة عموم العمالة التونسية والاتحاد العام التونسي للشغل، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية، المجلد الثامن، العدد 13، ديسمبر 2017.

- مقلاتي عبد الله، الثورة الجزائرية وعلاقتها بالمقاومة التونسية 1954-1956، مجلة المصادر، العدد 19، قسم التاريخ، الجامعة الإفريقية، أدرار.

- نجيب دكاني، خلفيات موقفي صالح بن يوسف والحبيب بورقيبة من الثورة الجزائرية، مجلة المصادر، العدد 29، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة.

- يحياوي عبد الوهاب، انعكاسات الحزب الدستوري التونسي على مقاومة صالح بن يوسف، مجلة آفاق للعلوم، العدد 06، 2017.

الأطروحات الجامعية:

- عبد الحفيظ موسم، الحركة اليوسفية والثورة الجزائرية، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، 2015-2016.

- عز الدين معزة، فرحات عباس والحبيب بورقيبة، دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، 2009-2010، جامعة منتوري، قسنطينة.

- قدادرة الشايب، الحزب الدستوري التونسي الجديد-حزب الشعب الجزائري 1834-1954، دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، 2006-2007، جامعة منتوري، قسنطينة.

- محمد سعيد عقيب، الحزب الحر الدستوري التونسي القديم، 1934-1956، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 02، 2009-2010.

- نجاة عبو، التحرر الوطني ووحدة المغرب العربي لدى أحمد بن بلة وصالح بن يوسف، دراسة تاريخية مقارنة 1945-1961، رسالة شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، 2014.

- يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري التونسي 1919-1934، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 1985-1986.

الجرائد:

- الشاذلي "نجل آخر بايات تونس"، في حديث هام عن البايات والحركة الوطنية، الشروق، يوم 18-06-2005، تونس.
- ألفة سلامي، هل قتل بورقيبة صالح بن يوسف؟، الأهرام العربي، 21-03-2019.
- جريدة الصباح التونسية، التصنيف: مختصرات الأخبار، 29-09-2010.
- حسونة مصباحي، جامعة الزيتونة رافد التنوير والمعرفة، الفجر نيوز، يوم 28-05-2009.

المعاجم والموسوعات:

- أحمد عطية الله، القاموس السياسي، الطبعة 03، دار النهضة العربية، القاهرة.
- الصادق زميرلي، أعلام تونسيون، تقديم وتعريب: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

المحاضرات:

الجليل التميمي: الدور الوطني للمنصف باي، قرطاج، تونس، يوم 2012/09/02.

المواقع الإلكترونية والبرامج التلفزيونية:

- إبراهيم طوبال، القصة الحقيقية لاغتيال صالح بن يوسف، www.habibbourguiba.net.
بين 1952-1956، تواريخ فارقة في مسيرة استقلال تونس، موقع تونسcitra، 20 مارس 1956.
- سالم لبيض، اليوسفية، www.habibbourguiba.net.
- محمد ضيف الله، الخلاف اليوسفي-البورقيبي،www.assarih.com، يوم 04-03-2019.

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
الشكر	
الإهداء	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ-هـ
الفصل التمهيدي: الواقع الفكري والسياسي والنقابي التونسي ودور النخبة فيه	
المبحث الأول: النضال الفكري.	4-1
المبحث الثاني: النضال السياسي.	14-5
المبحث الثالث: الضال النقابي.	18-15
الفصل الأول: السيرة النضالية لصالح بن يوسف	
المبحث الأول: المولد والنشأة – الدراسة –	20-19
المبحث الثاني: النضال السياسي لصالح بن يوسف	24-21
المبحث الثالث: النزاع داخل الحزب الدستوري القديم وموقف صالح بن يوسف منه	31-24
الفصل الثاني: الحزب الدستوري الجديد والدور السياسي لصالح بن يوسف فيه	
المبحث الأول: طبيع الخلاف داخل الحزب الدستوري الجديد	41-32
المبحث الثاني: الموقف الفرنسي من الخلاف اليوسفي –البورقيبي	49-41
المبحث الثالث: موقف الباي والشخصيات الوطنية والنقابية من الخلاف	59-49
الفصل الثالث: صالح بن يوسف وقضايا عصره	
المبحث الأول: موقف صالح بن يوسف من الثورة الجزائرية	71-60
المبحث الثاني: صالح بن يوسف والناصرية	81-71
المبحث الثالث: الحركة اليوسفية ومصير صالح بن يوسف	89-81
الخاتمة	92-90
فهرس الأعلام	96-93
الملاحق	100-97
البيبليوغرافيا	104-101

فهرس المحتويات	